15me Année No. 711

Lundi — 17 — 2 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١١ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ١٧ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

جامع وجامعـــة ...

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

أوشك الترام أن يفوته ، ولـكنه أدركه بعد جهد ومخاطرة ، فاستقر فى مكانه وهو يلهث ويرسل اللمنات على الترام :

— يقطعه ويقطع أيامه !

قال صاحبه وهو أصـغر منه : ولم ؟ إنه قرب البعيد ويسر الأمور .... لقد كان الانتقال من امبابة سفرة فى أرض مهجورة ، فأصبحنا نأتى منها ونعود إليها فى ساعة أو أقل من الساعة !

قال الشيخ : ولهذا « عفرت » الدنيا . ركبها عفاريت ، وقل خيرها . وقد كنا قبل أيامه نشـترى رطل اللحم بقرش وربطة الملوخية الـكبيرة بمليم . فجاء هذا الزمن « المعفرت » الذى لم يدع للفلوس بركة ولا فى شىء من الأشياء خيراً يرتجى ... ووافرحتاه بعد ذلك بهذه المراحل التى تنطوى فى غمضة عين !

مثـل هذا الحديث قد سمع فى القاهرة مرات ، ومثل هذا القياس يجرى فى النظر إلى كثير من الأمور ، وهو من الأحكام التى تستند إلى مقارنات شعورية ولا تستند إلى مقارنات منطقية ، لأنها ترضى الشعور لأول وهلة ولا ترضى العقل بعد النظرة الأولى .

ومن قبيل هذه الأحكام الشعورية مقارنات بين ماضى الجامع الأزهر وحاضره ، قرأتها لفاضـل من كتاب الرسالة فى عددها الماضى وفيها يقول كاتبها — الأستاذ على الطنطاوى — بمناسبة حادث الشيخ أبى العيون : « .. ما عرفنا علماء الأزهر إلا ملوكا ، لا أمر فوق أمرهم ، ولا كلمة بعد كلمتهم ، إذا قال واحدهم لبّت الأمة ، وإذا دعاهم الشعب ، وإذا أنـكر على الحـكومة منـكراً أزالت الحـكومة المنـكر ، وإذا أمرها بمعروف أطاعت بالمعروف ، فـكانوا هم السادة وهم القادة ، وهم أولو الأمر : هذى حكومة مصطفى فهمى باشا تستجيب سنة ١٨٩٩ لرغبة الإنـكليز فى إضعاف القضاء الشرعى فتضع مشروعها المشهور لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلى إلى المحكمة الشرعية العليا ويبلغ من ثقتها بقوتها وتأييد مجلس الشورى لها ألا تبالى باحتجاج الحـكومة العثمانية على المشروع وتعرضه على المجلس — وكان من أعضائه الشيخ حسونه النواوى الذى جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية — فيقول كلمة موجزة فى إنكار المشروع وينسحب من المجلس ويتبعه القاضى التركى فتكون هذه الـكلمة كافية لقتل المشروع .. » .

ثم قال بعد سرد الأمثلة من هذا القبيل وغير هذا القبيل :

« هذا ما عرفناه . فما الذى جرى حتى تبدلت الحال ووقع حادث الشيخ أبى العيون ؟ ما الذى نزع هيبة المشايخ من القلوب وأنزلهم من مكانتهم عند الحـكام ؟

وأجاب قائلا : أنتم أيها الأزهريون فعلتم هذا كله .... أنتم

أيها الأزهريون جميعاً جملتموها جامعة فكان فيها ما يكون فى الجامعات، وقد كانت جامعاً لايكون فيه إلا ما يكون فى الجامع. لقد كان الأزهر لله فصار للناس، وكان للآخرة فغدا للدنيا، وكان بجيئه الطالب يبتغى العلم وحده: يتبلغ بخبز الجراية، وينام على حصير الرواق، ويقرأ على سراج الزيت، ولكنه لا ينقطع عن الدرس والتحصيل .. ».

هذه هى العلة كما رآها الفاضل صاحب المقال، وهى إذا دلت على شىء فإنما تدل على أن الجامع الأزهر ينبغى أن يشتمل على جامعات عدة لا على جامعة واحدة، لينشر فى الأرض من علم المنطق، ومن صحة القياس، ما يعصمهم من خطأ التعليل فى أمره، بله جميع الأمور.

فلا علاقة لسراج الزيت وبين ما كان عليه الأزهر أو ما صار إليه، إلا كالعلاقة بين الترام وقلة البركة فى البيعات والمشتريات.

ولم يتغير الحال فى جملته اليوم عما كان عليه فى شىء من تلك الأشياء التى عددها الأستاذ.

فنى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ حدث أن مديراً للأوقاف جلس على كرسيه فى صحن الجامع الأزهر وجىء إليه بفريق من الأزهريين يجلدهم على مرأى ومسمع من الناس.

وفى العصر الحاضر لايزال أقطاب الجامع الأزهر قادرين على منع كل تشريع يرون فيه مساساً بأحكام الدين. وقد منعوا تشريعات كثيرة أعدتها الوزارات فى شئون الزواج والطلاق، واشتركوا فى درس كل قانون يدور على الميراث أو الوصية أو الوقف أو حقوق الآحاد المرتبة على أحكام الدين.

وفى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ أنكرت فئة من علماء الأزهر تشريح الجثث فى مستشفى « قصر العينى » فلم يكن هذا الإنكار فصل الخطاب.

وفى ذلك الزمن — بل فى جميع الأزمان منذ بناء الجامع الأزهر — كانت الصلة بين طلاب الأزهر وعلمائه وبين الحكومات المتوالية على أوثق ما تكون. لأن جامعاً كالجامع الأزهر لاينبغى أن تنقطع الصلة بينه وبين حياة الجماعة الإسلامية، إذ ليس فى الإسلام انقطاع عن الدنيا على النحو المعروف فى غيره من الديانات

فكان لمذهب الشيعة شأنه فى عصر الفاطميين، وكان لمذهب أبى حنيفة شأنه فى عهد العثمانيين، وكان العاملون فى الحياة العامة من أقطاب الأزهر أكثر وأكبر من المتنسكين المنقطعين عن شئون تلك الحياة، وليس الشيخ المراغى — مثلا — بمضارع فى غناء للشيخ العباسى وهو من مشايخ الأزهر فى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ.

فلا علاقة لسراج الزيت بما كان عليه الأزهر وما صار إليه، وليس بصحيح أن شأن الجامع الأزهر فيما مضى كان أعظم من شأنه اليوم، ولا أن المقبلين على الحياة العامة من أقطابه فى عصرنا هذا أكثر ممن كانوا يقبلون عليها فى العهود الغابرة، بالقياس إلى عددهم فى كل زمان.

والصحيح أن هيبة العالم الدينى تتوقف على مكانة الدين فى النفوس لا على ما يأكله العالم من خبز الجراية أو ينام عليه من أصناف الفراش.

وفى البلاد الأوربية لاينام رؤساء الأديان على الحصير ولايقرأون على السراج ولا ينقطعون عن الشؤون العامة، ولكن هتلر فى جبروته كان يتقيهم ويداريهم ويتقبل منهم ما لم يكن يتقبله من كبار القادة والوزراء. وكذلك كان موسولينى يفعل فى دولته الفاشية، وكذلك فعل ساسة الروس الشيوعيين فى العهد الأخير بعد أن جربوا مغاضبة الكنيسة ومحاسنتها، ثم اختاروا بين الخطتين.

وقد يتقى الرجل لمكانته فى أمته وفى سائر الأمم وإن لم يكن من رجال الدين. فإن تولستوى — كاتب الروس الأشهر — لم يكن ممن يصانعون القيصر ولا ممن يصانعون أحبار الكنيسة الروسية، وكان مع هذا يخاطب القيصر بكلام لا يباح لغيره، فيتقبله ويتغاضى عنه، لمكانة الرجل العالية بين قراء الأدب فى القارة الأوربية، وفى العالم بأسره.

فرجل الدين يستطيع أن يكون للدين وللدنيا ولا يخسر مكانته ولا يحط من هيبته ووقاره، ويستطيع أن يكون جامعياً بالنسبة إلى الجامعة الأزهرية كما يكون جامعياً بالنسبة إلى الجامع الأزهر، فيزداد ولا ينقص بهذا الانتساب.

إذ الواقع أن صبغة الجامعة هى التى ميزت الأزهر بين الجوامع فى العصور الماضية كما ميزته فى العصر الحاضر . فليس أكثر من الجوامع فى القاهرة ولا فى الأقطار الإسلامية ، ولكن الأزهر وحيد بينها لأنه جامعة علمية لا لأنه مسجد مقصور على الصلاة والعبادة .

وأيا كان القول فى هذا فالرجوع إلى الحصير أو إلى سراج الزيت أو إلى صومعة النسك لن يعالج شيئاً من الأشياء ، ولن يستطاع ولن يحمد إذا استطيع .

وخير ما يطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعية العلمية ، وأن يزداد نصيبه من المشاركة فى الأعمال الدنيوية ، وأن يحال بينه وبين العزلة والانقطاع .

ونحن من المؤمنين بماضى الأزهر العظيم ، ولكننا أشد إيماناً بمستقبله بنا بماضيه . لأن وظيفته فى الماضى كانت وظيفة واحدة لا منازع فيها . أما وظيفته فى المستقبل فوظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان فى حكمة الإسلام وحكمة العلم الذى يعمل به المسلمون وغير المسلمين .

فالجامع الأزهر أحق مكان بأن يحيى الفلسفة القديمة التى عاشت فيه وحده يوم ماتت فى جوانب الدنيا بأسرها ، ومن إحياء هذه الفلسفة أن يزاوج بينها وبين مستحدثات التفكير فى كل عصر وبين كل قبيل .

والجامع الأزهر أحق مكان بتوسيع المنطق الذى تمكنت فيه أسسه وتهيأت لما يضاف إلى هذه الأسس من أركان جديدة ، فى مذاهب الناطقة المحدثين .

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يعرض العقيدة الاسلامية المستنيرة على أهل الشرق والغرب ، لأنه أقدر على هذه الرسالة من الآحاد أو الجماعات التى تصدت لها فى غير مصر من الأقطار الإسلامية .

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يقصده الصينى من أقصى الشرق كما يقصده « الفندلاندى » من أقصى الشمال ، أو يقصده الزنجبارى من أقصى الجنوب . لأنهم يتعلمون فيه ما لا يجدونه فى غيره من الجامعات المقصورة على العلوم الطبيعية .

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يتدارك عيب العصر الحاضر وهو العيب الجسام الذى يتمثل فى العزل بين عالم العقل وعالم الروح . فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم ، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين .

ونحن كبيرو الرجاء فى إنجاز هذه المهمة العظمى بعد أن صارت مشيخة الأزهر إلى أستاذ الفلسفة الإسلامية على أحدث المناهج المصرية . فإنه أقدر الناس على أن يحقق للجامع الأزهر وظيفتيه فى ثقافة العقل وثقافة الروح ، وأعوانه من الأزهريين غير قليلين .

فليكن الأزهر جامعة ما دام .

بل ليظل الأزهر جامعة كما كان منذ كان .

وفى ذلك الخير كل الخير والبركة كل البركة . أما أن تكون البركة مرهونة بالحصير وسراج الزيت فهو قول لا بركة فيه ولا يدل على الحاجة إلى شىء فى الأزهر ألزم من الحاجة إلى توسيع الجامعة لتحويل الأفكار فى الشرق من مقارنات الشعور إلى مقارنات العقول ، ولا سيما فى المقارنة بين الجوامع والجامعات .

عباس محمود العقاد

حول قضية فلسطين :

والآن أيها العرب
أما تزالون تنتظرون ؟ !

للأستاذ سيد قطب

قصة العرب مع الاستعمار الانجليزى فى فلسطين هى بعينها قصتهم معه فى كل بلد عربى آخر ؛ وخديعة الاستعمار الانجليزى للعرب فى فلسطين هى خديعته الخالدة لكل بلد عربى آخر .

وتسميتها قصة هى فى الواقع تجوز ، فهى فى حقيقة الأمر مأساة أليمة متكررة ، وأشد ما يؤلم فيها هو هذا التكرار الذى لا يفتح عيون العرب على الخديعة ، ولا يغير طريقهم التى سلكوها نخابوا فى كل مرة ، ولا يجنبهم الجحر الذى لدغوا منه بدل المرة مرات .

هى مأساة الثقة بالضمير الانجليزى ، بل مأساة الاعتقاد بأن هناك ما يسمى الضمير الانجليزى ! وذلك هو الجحر الذى لدغ العرب منه مرات ، فى كل بلد عربى ، ثم هم مع ذلك لايتوقونه ، فيصدق عليهم الحديث : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وحاشا لهؤلاء أن يكونوا مؤمنين ، وهم فى كل يوم يلدغون !

حفنة من الساسة قعدت بهم عن الجهاد مشقات الجهاد ، فاختاروا لشعوبهم الطريق الأهون ، والخطة السهلة ؛ وراحوا يضيعون أوقات الشعوب بالمؤتمرات والمفاوضات والمحادثات ؛ ودعوا الشعوب للهدوء والانتظار فى ارتقاب النتائج من هذه الطرق الهينة المأمونة .

وكان من غضب الله على هذه الشعوب أنها سمعت كلام أولئك الساسة الضعفاء الهازيل ، واستجابت لدعوة الراحة والدعة ، « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

تكررت هذه المأساة فى مصر ، كما تكررت فى فلسطين ، كما تكررت فى كل بلد عربى دنسته أقدام المستعمرين الطغاة .

وهب الشعب فى مصر ، كما هب فى فلسطين ، كما هب فى كل بلد عربى يكافح هذا الاستعمار البغيض ، يكافحه كما ينبغى أن يكافح. يكافحه بالدم المبذول ، والروح المسترخصة ، والتضحية بالنفس والمال .. وكان هذا هو الطريق الصحيح . الطريق الذى سلكته من قبل الولايات المتحدة ، وإرلندا الحرة ؛ كما سلكته أخيراً سورية الأبية ، ولبنان الأشم .

وبينما الشعوب فى فورتها ، والتضحية فى عليائها ، صاح عليها الأغربة المشئومة : حسبك أيتها الشعوب فقد أديت واجبك حسبك ودعى الأمر لأولى الأمر . دعيه للساسة يعالجونه بالحكمة والديبلوماسية ، بعد ما عالجته بالدماء والتضحية !

ومنذ هذه اللحظة المشئومة وقضايا العرب تخسر فى كل مكان ، ومنذ هذه اللحظة المشئومة والاستعمار يكسب فى كل مكان .

لقد التقط الاستعمار أنفاسه بعد الجهد المنيف ، بعد ما كاد يسلم للشعوب بحقها المغصوب . ولكن لماذا يسلم ، وهؤلاء جماعة من هذه الشعوب يخدرونها لتنام ، ويروحون على وجوهها لتنعس، ويلوحون لها بالأحلام الجميلة لتستغرق فى الأحلام الجميلة ؟

ألا قاتل الله اللحظة المشئومة التى استسلمت فيها الأمم العربية لهذه الغربان المشئومة !

والآن أيها العرب . أما تزالون تنتظرون .

فأما مصر فقد هداها الله إلى نصف الحق ، هداها إلى قطع المفاوضات والمحادثات والمداولات . هداها إلى الخروج من تلك الدائرة البغيضة التى دارت فيها ودارت خمسة وعشرين عاماً كما يدور ثور الساقية ، أو حمار الطاحون !

ولكنه لم يهدها بعد إلى النصف الآخر . لم يهدها إلى أن زمام الأمر فى يدها هى لا فى يد هيئة الأمم المتحدة ، ولا فى يد مجلس الأمن ، ولا فى يد محكمة العدل الدولية ، ولا فى يد كائن من كان على ظهر هذه الأرض إلا المصريين !

لم يهدها إلى أنها تخطو إلى منتصف الطريق عندما تلجأ إلى هذه الهيئات الدولية ؛ فأما نصفها الآخر . نصفها المؤدى إلى الغاية ؛ فهو أن تعزم على الاستقلال فى ضميرها ، وأن تنبذ العبودية من روحها ، وأن تطهر دماءها من لوثة الذل الذى فيها . وأن تنبز على سواء إلى هذا الاستعمار فتواجهه بنفسها مواجهة من اعتزم وصمم وانتهى .

ولو فعلت مصر لنظرت فى تطهير المصالح المصرية من كل موظف انجليزى منذ هذا الصباح . **وفى تطهير الاقتصاد المصرى**

من كل نفوذ انجليزى منذ هذه الليلة . وفى تطهير التعليم المصرى من كل أثر انجليزى دسه الاستعمار على نظمه وبرامجه وكتبه ، وحقائقه التاريخية والجغرافية . وفى تطهير الحياة المصرية من كل ما هو انجليزى مهما اشتدت حاجتنا إليه .

ولو فعلت مصر لرفض أى مصرى أن يخاطب أى انجليزى على ظهر الوادى ولو للسلام العابر . ولأغلقت منذ اللحظة ذلك النادى العجيب الذى يسمى النادى المصرى الانجليزى ، ولأعدمت جميع الصورات الجغرافية التى تكتب ذلك العنوان الآثم : « السودان المصرى الانجليزى » وجميع كتب التاريخ فى أيدى التلاميذ التى تتحدث عن « الاصلاحات التى تمت فى عهد الاحتلال » !

ولو فعلت مصر لأطلقتها من الأعماق صيحة عداء مدوية للبرابرة المستعمرين . ولأعلنت أنها ستلقن ناشئتها ذلك العداء ، وستسقيهم إياه مع الرضاع !

ولو فعلت مصر لأرسلت دعاتها كالمبشرين فى كل مكان على ظهر هذه الأرض يفضحون مساوىء الاستعمار ، ويتحدثون عن مآسيه الوحشية ، ويكشفون للعالم عن فجائع دنشواى والعزيزية و ٤ فبراير ، وعشرات من هذه المآسى التى يقشعر لها ضمير الإنسانية فى كل مكان .

ولو فعلت مصر لسكتت صيحة الحزبية الحقيرة الخسيسة التى تهتف بها الأحزاب التى شاخت ، وبلوكها الجيل الذى أنتن ، ويرددها الرجال الذين لم ينسحبوا فى الوقت المناسب من الميدان !

ولو فعلت مصر لأدرك الانجليز من فورهم أنها جادة فى هذه المرة لا هازلة ؛ ولاشتروا منها مصالحهم فى العالم وسمعتهم بالثمن الذى تريد ؛ ولوجدوا ارضاء مصر أكسب لهم من تشبثهم باستعمارها وقد صرح المداء !

ولكن مصر تقف فى منتصف الطريق . تقف لأن الجيل الذى يقودها — فى الحكومة وفى المعارضة على السواء — هو الجيل الذى شاخ . الجيل الذى دعاها فى فورة الحماسة إلى الهدوء . الجيل الذى أفسد عليها طريقها حينما اختار الطريق الأسهل . طريق المفاوضة والمحادثة والمؤتمرات !

وأما فلسطين فقد فارت فورتها فى وجه الظلم الذى لم تعرف له البشرية شبيهاً . وكانت آخر فوراتها فى عام ١٩٣٨ . ورأى الانجليز أن الأمر جد لا هزل ، وأن الأمة العربية هناك لا تنوى التراجع ، ولا تبغى المهادنة . فلجأوا إلى وسيلتهم الخالدة . وسيلتهم التى جربوها فى مصر من قبل فعادت عليهم بالخير والأمن والهدوء ، دعوا فلسطين إلى مؤتمر المائدة المستديرة ! ودعوا معها العرب جميعاً . ومع الأسف صدقت فلسطين ، وألقت السلاح ، وانتظرت نتائج المائدة المستديرة !

ومن الإنصاف أن نذكر أن الخديعة فى هذه المرة لم تأت عرب فلسطين الأباة من جهة الإنجليز ، إنما جاءتهم من جهة من يسمونهم الزعماء ، الزعماء هنا فى مصر وفى بعض البلاد العربية . وخدع العرب الأباة بذلك الكتاب الأبيض الذى أسفر عنه المؤتمر . وجاءت الحرب فوقفوا فى صف انجلترا هم وسائر العرب فى بلاد العرب .

وقيل لهم : إن الانجليز سيعرفون لهم فضل مناصرتهم فى ساعة العسرة فصدقوا . وكانوا بلهاء حينما صدقوا ! واشترك فى خديعتهم أولئك الساسة والأدباء والكتاب والصحفيون المغفلون والمأجورون الذين راحوا يشيدون بالديمقراطية ، والمدافعين عن الديمقراطية !

ثم وضعت الحرب أوزارها ، وهب الإرهابيون اليهود يجلدون الانجليز فى الشوارع ، وينسفون مقر القيادة الانجليزية ، ويخطفون القضاة والقواد ؛ ويطلقونها صيحة مدوية : فلسطين لليهود !

وقيل للعرب : اسكتوا واصمتوا واطمئنوا . فقد وقع الصهيونيون فى شر أعمالهم ، وسينالون عداء الانجليز ، ما فى ذلك شك ، وسيجازيهم الانجليز على ذلك بالتمكين للعرب فى فلسطين!

وقيل للعرب : حذار من أن تكونوا حمقى كاليهود . كونوا « عقلاء » أيها العرب لتكسبوا مودة الانجليز ... قالها لهم أولئك الساسة الذين اختاروا من أول الأمر طريق المفاوضات والمحادثات والمؤتمرات ، استهبالا واستغفالا !

وصدق العرب المساكين ، منطق ساستهم المحنكين ! وباتوا « عقلاء » عقلاء جداً ؛ لا يحركون ساكناً ، ولا يرفعون صوتاً ولا يمكرون صفواً .

وبدأ الانجليز يحنقون على الإرهابيين ، ويميلون للعرب . . . فألغوا سياسة الكتاب الأبيض ، وسمحوا بالهجرة اليهودية بعد ما انتهى الأجل الذى حدده للهجرة ذلك الكتاب ! ثم دعوا العرب واليهود إلى مؤتمر فى لندن لوضع حل حاسم لقضية فلسطين

من صميم الحياة :

فى حديقة الأزبكية

للأستاذ على الطنطاوى

كنت أمس عند الأستاذ الزيات فدخل علينا شاب فى نحو الثامنة عشرة عراقى ، فسلم وقعد صامتاً لا ينبس ، وجعل ينظر إلىّ كأن فى فيــه كلاماً يريد أن يقوله ، ولـكنه لا يحب أن يظهرنى عليه ، فهو يتبرم بمجلسى ، ويرقب قيامى ، فلما طال منه ذلك ، قال له الأستاذ : « تفضل ! » . فقال متردداً : « كنت أريد أن أقص عليكم قصتى ... علّها ... تـكتب فى الرسالة ... ولـكن ... سأجئ فى وقت آخر » ، وألقى علىّ نظرة لا أقول من نار ، ولـكن من حروف وكلمات تقول : « لولا هذا الرجل ! » .

فقال الأستاذ معرّفاً بى : « إنه فلان ، وهو من أسرة الرسالة فقص القصة أمامه ، فلعله إذا سمعها منك كتبها هو » . فلما عرفنى أشرق وجهه واطمأن وانطلق يقول ...

***

وصلت مصر للدراسة فى مدارسها فى أكتوبر الماضى ، وكانت تلك أول مرة أقدم فيها القاهرة ، وأرى فيها الدنيا ،

ولج اليهود «المجانين» فى إثارة أحقاد البريطانيين . ولج العرب العقلاء فى الصمت والهدوء .. ثم إذا الانجليز يزدادون مع اليهود حنقاً ويزدادون للعرب مودة . وإذا مستر بيفن يعرض حلا يتفق مع ذلك الحقد ومع هذه المودة ... إنه يقترح السماح لمائة ألف يهـودى بالهجرة إلى فلسطين فى خلال خمسة وعشرين شهراً ! أليس الرجل حانقاً على اليهود « المجانين » ؟!

سخرية ! سخرية لا تطاق ! ولـكن الزعماء لا يزالون هناك يتفاوضون ويتباحثون ويتجادلون !

والآن أيها العرب . أما تزالون تنتظرون ؟!

سيد قطب

أمضيت عمرى قبلها فى قرية لا تعرف إلا الجد ؟ ولا تقبل على غير الحرث والدرس ، ما فيها إلا الحلقة والحقل ، ما فيها سينما ولا ملهى ، ولا تلق فى طرقها امرأة سافرة ، ولا تصادف فى حقولها فتاة ، لم أخرج منها إلا مرة واحدة وأنا صغير زرت فيها النجف مع لدات لى فرأيتها مدينـة عظيمة فيها كل ما يبهج ويهيج ، وسعدت فيها أياماً ، ثم عدنا إلى القرية ، وإلى حلقة الشيخ ، فقرأنا عليه كتب الدين والنحو والصرف والبلاغة ، ثم أقبلنا على الأدب ، نعبّ الشعر الغزل ، كما يعبّ من النبع العذب الصادى الظمآن ، ونحفظه فى صدورنا كما يحفظ الشحيح الموسر ماله فى صندوقه ، فيكون لقلوبنا الفتية المشتعلة بالعاطفة حطباً يابساً يزيدها اشتعالا ، ولـكنه يكون لقرائحنا مدداً ، ولألسنتنا ثقافاً ، ولنفوسنا صقالا ، وكانت لنا صبوات يحركها سواد المرأة وهى تخطر فى سوق القرية بعباءتها السوداء السابغة ، وظلها من خلف زجاج النافذة ، وصوتها من وراء الباب ، لا نرى منها أكثر من ذلك ، فكان يثير سوا كن هذه القلوب التى ما عرفت طريق الإثم ... وإن لم تخل القرية من آثمين (من الشباب) ومن آثمات .

— قلت : فما فائدة الحجاب ؟

— قال : إن الخير المطلق ليس من طبيعة هذه الدنيا ، والعبرة بالغالب ، فالحجاب خير فيه شر قليل ، ولـكن السفور شر قد يكون فيه خير قليل ، وما الإثم فى العاطفة يفيض بها القلب ، أو الشهوة تضطرم بنارها الأعصاب ، ولـكن الإثم فى عمل الجوارح .

وعاد إلى قصته ، فقال :

وكنت قد سمعت عن القاهرة أنها ، لا تؤاخذونى ، أنها كباريز ، بلد لذة وانطلاق ، وأنها عالم فيه من كل شئ ، فيه العـلم والجهل ، والغنى والفقر ، والتقى والفجور ، والعفاف والفسوق ، يصنع كل فيها ما يريد ، لا يسأل أحد أحداً ما ذا يصنع ؟ ولا يقول له : دع ذا ، فانه حرام . وكف عن ذا فانه عيب ، وان ... إنى لأستحى والله أن أتـكلم ...

قلنا له : قل يا أخى ، إنك تقول الصدق ابتغاء الإصلاح ، ولا حياء فى الإصلاح

فتردد قليلا ، وغض بصره . ثم قال :

— وأن النساء فى مصر ، استغفر الله ، ما هذا أعنى ، أعنى أن فى مصر نساء كثيرات أ ... الحاصل أن الصورة التى كانت لمصر فى مخايلنا لم تكن صورة الأزهر بحلقاته ، ولا الجامعة بأبهائها ، ولا الجمعيات الإسلامية ، ولا النوادى الأدبية ، كلا . بل صورة (البلاج) ومشاهده ، والسفور والاختلاط ، وأن الصوت الذى يصل إلى قريتنا عاليًا ليس صوت الرسالة والثقافة والكتاب ، فانه صوت خافت فينا ، ولكن صوت الاثنين والأخبار والسامرات ، منها تكونت للقاهرة هذه الصورة ، فتخيلناها فتاة عابثة مستهترة ، لا شيخاً وقوراً صالحاً ...

أنا أقول لكم الحق ، فأرجو أن يتسع لسماعه صدركم ، ولا يضيق به حلمكم ...

ولما تقرر سفرى إلى مصر ، أرقت ليالى بطولها ، لا أستطيع الرقاد من فرط الانفعال ، ثم سافرت وكلما نقصت من الطريق مرحلة زاد شوقى مراحل ، وكلما اقتربت منها ابتعدت عن الصبر ، ولست أطيل عليكم ، فقد دخلتها ليلا ، فنزلت فى فندق فى العتبة الخضراء بلدىّ ، كانوا دلونى عليه من قبل أن أسافر ، اسمه (فندق البرلمان) ، فنمت نوماً متقطعاً تتخلله ثائرات الأحلام ، يؤرقنى ما أرقب من لذائذ هذه الجنة التى دخلتها بعد طول تشوق إليها فأنهض ساعة ، ثم يسحقنى السهر والسفر فأهجع أخرى ، حتى طلع الصباح .

ونزلت الساعة العاشرة ، فمشيت خطوات ، فوجدت فى وجهى حديقة الأزبكية ، وكنت قد قرأت فى (النظرات) للمنفلوطى رحمه الله ، أن الأزبكية ، ولا مؤاخذة ، هى المكان الذى تميل إليه نفس كل شاب ، لأنه أوسخ معابد الشيطان ، السوق التى تباع فيها اللذائذ ، فاقتربت منها وقلبى يجف كأنى مقبل على جريمة قتل ، وهل الزنا إلا أخو القتل ؟ وتمثل لى ماضى وأخلاق ، وطلعة الشيخ ، فارتددت وتلفت أنظر هل رآنى من أحد — لا تضحكوا أرجوكم فإنى أصف لكم ما وقع لى ، ومرّ رجال ، خيل إلىّ أن واحداً منهم يحدّق فىّ ، ويحدّ النظر إلىّ ويتبسم فشعرت أن دمى كله قد صعد إلى رأسى ، وأن أذنى قد صارتا جمرتين ملتهبتين ، وتصبب العرق من جبينى ، لما وقع فى نفسى من أن الرجل يعرفنى ، ويعلم ما أسعى إليه ، فأسرعت فى مشيتى حتى نبهت الناس إلىّ بإسراعى ، فجعلوا ينظرون إلى متعجبين من عجلتى ، وكلما رأيت ذلك منهم ازددت عجلة ، كأنى الجواد الأصيل يقرع بالمقارع ليقف ، وكلما أحس وقعها طار جرياً ، حتى إذا ابتعدت وقفت ، ووجدت راحة الخلاص من الإثم ، كما يجد الغريق راحة الوصول إلى الهواء ، ومشيت لا أعرف لى وجهة ، فعاد الشيطان يوسوس إلىّ ، فثارت الرغبة فى نفسى كرة أخرى ، وندمت على أن أضعت هذه الفرصة التى انتظرتها دهراً مديداً ، وفكرت فيها مسهداً ليالى طوالا ، وقطعت من أجلها قفراً وخضت بحراً ، ومشيت من مشرق الشمس إلى مغربها ، فعدت وجعلت أدور حول سور الحديقة ، وقلبى يكاد يمزق بوجيبه جدار صدرى ، وكان اليوم يوم أحد ، فرأيت غوانيها من خلال السور قاعدات باديات الفاتن أو مضطجعات أو منبطحات على الكلأ ساحرات بالمقل النواعس ، وبالسوق والأفخاذ ، فكدت أجنّ ، ولا تنسوا أنى لا أزال أعتقد أن الحديقة هى (أزبكية المنفلوطى) ...

وشددنا أشداقنا كيلا يفلت الضحك منا ، ومضى فى قصته .

قال : ورأيت على مقعد شاباً وفتاة ، وهما يتناجيان ، وعلى وجهيهما من ظلال الحديث ، مثل ما يكون على وجه البحيرة الساكنة من شعاع القمر ، وقد تدانى الرأسان ، والتفّت الأيدى بالمناكب ، وتمارض الساقان ، وأحاطهما بجناحيه إبليسُ الهوى ، فجن جنونى ، ودفعتنى موجة الانفعال التى ماجت فى نفسى ، فأقدمت حتى إذا ضعفت الموجة وماتت ، كما تموت أمواج البحر وسط اللجة ، ألفيتنى عند الباب ، فوقفت لا أدرى ماذا أعمل ، وتخيلت كأنى قد أقمت على عمود فى رحبة القرية والناس كلهم ينظرون إلىّ يقولون : هذا الذى دخل الأزبكية التى لم يعرف (المنفلوطى) من تحديدها إلا أنها فوق الغبراء وتحت السماء ، وتمنيت من الخجل أن أغوص فى الأرض وأحسست أن الدنيا تدور من حولى ، ولم ينقذنى إلا رجل دخل فتوسط الباب الدوار ، فدفع (قرش تعريفة) فأداره له البواب حتى صار فى الحديقة ، فصنعت صنيعه وأنا لا أعقل ما أصنع ...

جُلْتُ فى الحديقة فوجدت نساء من كل لون وجنس ،

ولكني كنت كمن ألقى في الماء قبل أن يتعلم السباحة ، فلم أدر كيف السبيل إليهن ، وحاولت أن أتذكر ما قرأت من القصص وماذا يعمل أبطالها في مثل هذا الموقف ، وما حفظت من أشعار الغزل ، فلم يخطر على بالي إلا أبيات (سألت الله يجمعني بسلمى) فقد كانت حالي كحال هذا الشاعر ، أرقب أن تجيء إحداهن فتأخذ هي بيدي وتجرني إليها ، ولكني لم أر غرفاً ولا مخادع ، ثم وجدت بناء في الحديقة فعلمت أن المخادع والغرفات فيه ، وبقيت إلى المساء ، أدور لا أفكر في طعام ، ولا أشكو التعب ، حتى إذا قيل اخرجوا ستغلق الحديقة ، خرجت وما أظن أن على ظهر الأرض إنساناً أخيب مني ...

وجعلت أعود إليها ، كل يوم ، فلما كان بعد ثلاثة أيام ، وكنت قاعداً على مقعد وأمامي امرأة قصيرة الثوب ، عارية الساق قد رفعت رجلا على رجل ، فأبدت ما أحسست به كالبارود في أعصابي ، وجعلت أنظر إليها ، علها تلقي بصرها علي ، فأغمزها بعيني — وقد فكرت في ذلك الليلة البارحة كلها ، ورأيته هو الطريق إليها ، بعد ما أعياني الوصول ، وجربته أمام المرآة حتى حسبتني أتقنته — والتفتت إلي فغمزت بعيني ، فإذا بها تشمخ بأنفها ، وتقوم فتمضي وعلى وجهها مثل أمارات الاشمئزاز ... وسمعت ضحكا من ورائي فتلفت مذعوراً ، فإذا أنا بشاب على رأسه كمة بيضاء يلبس (قفطاناً) يبدو عليه أنه فلاح ، تلوح عليه سيماء الفقر ، ورأى ذعري فقال : « إزيك » . قلت : « كأش زين » ففهم أني غريب ، وأني عراقي . فقال : « عجبتك ؟ » فاستحييت أن أجيب . فقال الخبيث : « ليه ؟ انت مكسوف ؟ ما تتكسفشي ! تعال أوديك واحدة أحلى منها » .

إنكم لا تستطيعون أن تتصوروا ماذا صنعت بي هذه الكلمة وأنا الذي عاش عمره يشتهي أن يشم ريح امرأة من مسافة فرسخ وتشجعت فقلت له بصوت مخنوق : « شلون ؟ » . قال : « شلون يعني إيه ؟ تعال معايا . تعال » وأخذ بيدي وأخرجني من الحديقة ، وقال : « تحب ناخد تاكسي ولا نركب الترام؟ » وكنت نافد الصبر ، مجنون الرغبة ، فقلت : « تاكسي » . ولو كانت طيارة لركبت إلى ما يأخذني إليه طيارة ، ولم أسأله إلى أين ، حتى نزلنا من السيارة ، فسألت السائق : « كم تريد » ؟

قال : « ثلاثين قرشاً » فارتمت لحظة ولكني لم أبال ، ونقدته الأجرة ونظرت فإذا الذي بقي في جيبي اثنان وعشرون قرشاً ، وسائر فلوسي عند الفندق . نفقة الشهر كله خمسة عشر جنيهاً ...

قال الشاب : « إيدك على جنيه بأه » . قلت : « جنيه ؟ » قال : « أمال ؟ دي بنت تمانتاشر ، زي القمر » . فنظرت هنا وهناك أبغي مهرباً ولا أعرف الطريق . فقال : « مالكشي مزاج ولا إيه ؟ » . قلت : « في وقت ثاني » . قال الخبيث : « على خاطرك . هات تعبتي بأه ! » فأعطيته خمسة قروش ، ولم يحب أن يفلتني قبل أن ينتف ريشي فعاد يحدثني حديث الرجس ، وقال لي إن عنده بنات أخر ، ولكن لكل ثمن ، فبنت مصرية سمراء كأن عينيها عينا غزال شارد ، وبنت شامية من صفتها كذا ، وبنت عراقية من بلادنا من نعتها كذا ، وبنت رومية كأن جسمها العاج المشرب بعصير الورد ، وكان شعرها أسلاك الذهب ، تسقي من فمها خمراً ، ومن مقلتها سحراً ورآني أرتجف من الانفعال ، ورأى وجهي شاحباً ، فقال : هي بنت بيت « مش من دول » لا تأخذ فلوساً ، لأن أباها من كبار أصحاب المصارف ، ولكن للبواب جنيهان ليغض النظر ، وله هو جنيه ، واثنان لوصيفتها لتكتم الأمر ، وتحفظ الباب ...

وسحرني الملعون . فقلت : « لا بد لي من الذهاب إلى الفندق لآتي بالفلوس » قال : « هيا بنا » .

وتسلم الجنيهات الخمسة ، وأدخلني عمارة فخمة في شارع الملكة نازلي ، فأصعدني إلى الطبقة السابعة ، وأشار إلى باب فقال : إنها هنا . ولكنه لا يستطيع أن يدخل معي ، فهو ينتظرني عند البواب ، ونزل بـ « المصعد » الذي صعدنا به ، وأقدمت مضطرباً فقرعت الباب بيد ترتجف ، ففتحه لي خادم أسود مسن ، ووقف ينظر ما أقول له ، ووقفت مبهوتاً فقال : « إيه ؟ عاوز مين ؟ » فسكت . قال : « الله ! إنت عاوز مين ؟ » قلت : « جورج » ، وكان هذا هو الاسم الذي خطر على لساني . قال « جورج ؟ ! دا منزل أحمد بك صالح المحامي » وأغلق الباب في وجهي ، ولم أجد المصعد فنزلت على الدرج ، من الطبقة السابعة ، فلما بلغت الباب لم أجد الشاب ولا البواب !

(طبق الأصل) **علي الطنطاوي**

على ذكر المولد النبوى :

محمد والأمن العام

لصاحب العزة على حلمى بك
مدير جرجا

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

التشريع الجنائى فى الاسلام

القواعد الإيجابية التأديبية للأمن

لا قوام للأمن بغير عقوبة توضع للجريمة التى ارتكبت ردعاً للجانى وزجراً لغيره ، ولا قيمة لهذه العقوبة إلا إذا نفذت فملا على المجرم الآثم ، فهل وضعت الشريعة المحمدية عقوبات للجرائم التى تزعزع أركان الأمن وتسبب شقاء المجتمع .

نعم . وما الحدود التى شرعها الله وأوصى بها الرسول الكريم إلا عقوبات تحد من الإجرام وتقف بالإنسان عند حده . وإليك بيانها بإيجاز :

أولا — عقوبة الإعدام « القصاص » : لاشك فى أن أول جريمة تقض مضاجع الناس وتروعهم فتشق بها الإنسانية إنما هى جريمة سفك الدماء وإزهاق الروح . وقد شرع الله لها القصاص فقال (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) وهى مادة أساسية فى قانون محمد الجنائى .

ثانياً — حد قطاع الطرق : وهم العصابات المسلحة التى تتربص بالمارة ليلا أو نهاراً وتقتل للسلب والنهب .

وحكم الشريعة فيهم ينحصر فيما يلى :

ا — الإعدام : إن ثبت أنهم ارتكبوا القتل .

ب — الصلب مع القتل : إن قتلوا وسلبوا الأموال على خلاف بين الأئمة فى الصلب .

ج — قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف : « اليد اليمنى والرجل اليسرى » هذا إن اقتصروا على سلب المال دون سفك الدماء

د — النفى : إن استعملوا الإرهاب ولم يقتلوا أو يسلبوا ، وقد فسر بعض الأئمة النفى بالحبس . على أنه ثبت أن عقوبة النفى للمجرم فيها إصلاح وأمن ، وأن إبعاد المجرمين الخطرين الذين لا يرجى إصلاحهم وعزلهم عن المجتمع كما حصل أخيراً باتباع هذا النظام فى معتقل الطور أدى إلى تحسن حالة الأمن وخاصة فى الجهات التى نفى منها هؤلاء — وحبذا لو رأى ولاة الأمور استخدامهم فى استصلاح الأراضى الزراعية البور كأرض البرارى فى شمال الدلتا أو العمل بالمحاجر والمناجم أو تشغيلهم فى إنشاء الطرق فى الجهات النائية كمديرية قنا وأسوان فى سبيل العمران والرخاء والأمن .

هذه العقوبات الموضوعة لقطاع الطرق مستقاة من قول الله عز وجل شأنه (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) .

ثالثاً — السرقة : وهى الجريمة الدنيئة التى تتمثل فى سلب الأموال وهى قوام الحياة يلجأ إليها المجرمون من الكسالى والمتواكلين رغبة فى الاستمتاع بالعيش السهل على حساب غيرهم من المجدين العاملين .

ولهذه الجريمة أسوأ الأثر فى اضطراب الأمن وانتشار الفوضى ، لهذا كانت العقوبة التى وضعها الإسلام لمرتكبيها عقوبة صارمة . وهى قطع يد السارق إذا ثبت عليه الجرم بلا شبهة وليس هنا موضع الحديث عن المقدار الذى يجب فيه القطع ولا عن المال المسروق ولا عن الشبهة التى تمنع الحد (فمرجع ذلك كتب الفقه) لكننا قصدنا إلى بيان أن عقوبة السرقة التى وضعها الله تعالى هى العقوبة الطبيعية لمنع هذا الجرم ودفعا للكسالى والمتواكلين إلى العمل والسعى إلى الرزق وحفظا لأموال الناس من عبث المجرمين. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يشتد فى عقاب السارق ولا يعفو عنه حتى ولو عفا المجنى عليه ، روى أن صفوان بن أمية عفا عن سارق ردائه فقال عليه الصلاة والسلام « لا عفا الله عنى إن عفوت » وأمر بقطع يد السارق وهو الذى يقول فى لهجة الغاضب الآسف لجماعة يريدون الاستشفاع لامرأة سرقت ما يوجب الحد عليها « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » فلئن دل هذا الحادث على شىء فإنما يدل على أن إقامة حدود الله وهى روادع البشرية وزواجر الإنسانية لم يكن للعاطفة فيها نصيب ولا للرحمة عندها منفذ . فهذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وهى أحب

ذريته إليه ومع ذلك يقسم صلوات الله وسلامه عليه أنه لو سرقت هــذه المحبوبة صاحبة المنزلة الكريمة فى نفسه لأوقع عليها الحد وأنزل بها العذاب ، فأى معنى من معانى السمو الخلقى أسمى من هذا الخلق الكريم فلا شفاعة ولا استشفاع ولا محبة ولا عاطفة تمنع من إقامة الحدود مهما يكن الداعى إليها والمسوغ لها ، لذلك انعدمت الجرائم أوقاتاً كثيراً وعم الأمن وشمل العالم فعمه النظام وطمأنينة البال . وما كان يقع من شرور أو يحصل من آثام فإنما هى أمور شاذة معدودة أمكن علاجها وأصبح من المستطاع استئصالها .

ولا محل إذن لقول متحامل على الإسلام من مدعى المدينة بأنها أمور وحشية وعقوبات غير إنسانية ، فالإسلام لم يكن مبتدعاً لهذه العقوبات ولكنه أقر ماجاء منها فى الشرائع السماوية ، فكان العالم على ما قدمنا يرزح تحت نيران الفتن وعوامل الفساد ، وكانت الحال على أشدها فلا مال يصان ولا نفس تحفظ ولا عرض يحترم .

وجاء الإسلام فرعى الحقوق وحقن الدماء ونشر السلام وأمن النفوس وجمع القلوب على دين واحد ومبدأ واحد وتعاليم شاملة ومبادىء سامية .

وإن كثيراً من حوادث السرقات إنما يقع بسبب إهمال صاحب المال وعدم الحيطة والحذر كأن يترك مثلا متاعه أو دابته أو سيارته فى الطريق ثم يذهب لقضاء عمل يستغرق وقتاً ، فيكون فى ذلك إغراء للسارق وتشجيع له على السرقة . وقد يكل بعض الناس أمور الحراسة لغير الأمناء بلا حذر أو مراقبة فيستعين الجانى بالحارس على ارتكاب الجريمة .

ولم يهمل المشرع العظيم هــذه الناحية . إذ يقول الله تعالى (وخذوا حذركم) ويقول عليه الصلاة والسلام «اعقلها وتوكل»

رابعا — عقوبات أخرى : شرع الله سبحانه وتعالى على لسان محمد وشريعته الغراء عقوبات أخرى خلقية لما أثرها فى الأمن أى أثر

الجرائم الخلقية :

لا تقتصر الجريمة على الماديات فحسب . بل تتعداها إلى غيرها ، فهناك الجرائم الخلقية كهتك العرض والفسق التى كثيراً ما تنشأ عن عدم عناية بعض أولياء الأمور بتربية أولادهم وعدم مراقبتهم والمحافظة عليهم .

الزنا :

هو شر أدواء المجتمع : يقوض دعائم الشعوب ويهدم أركان الممالك وحسبك أن انتشاره يقطع التناسل ويؤدى إلى انقراض النوع الإنسانى ويهدم صرح الأسرة وهى اللبنة التى يكون منها الأمة . أضف إلى ذلك ما ينشأ عن هذا الجرم الشنيع من انتشار أمراض المدنية (الأمراض الخبيثة) وما يترتب عليها من شقاء الزانى وألمه المرير طوال حياته فيعيش مشوها فى خلقه متألما فى جسمه ونفسه منبوذاً من المجتمع الذى يحيط به . ثم إن الزانى جرثومة قذرة إن لم يبادر بإبادتها نمت وفشت فتصيب بمرضها الوبيل كل من يقترب منها أو يتصل بها .

ولنا أن نستنتج ما يأتى :

١ — إن الزنا جريمة يمتد أثرها إلى المجتمع نفسه فيصيبه بالانهيار والانحلال .

١ — إنه يفقد الشرف والكرامة وهما أسمى آيات الإنسانية الكاملة .

٣ — إنه سبيل المرض . ولا خير فى أمة مريضة الشباب ضعيفة الرجال .

٤ — إنه وسيلة الفقر وذهاب المال والمال قوام الحياة .

٥ — إنه أساس لكثير من الجرائم الأخرى التى تؤثر شر تأثير فى الأمن العام كالسرقة والتزوير والغصب فضلا عما يؤدى إليه الانتقام للعرض كالقتل كما هو حاصل فى أنحاء البلاد وخاصة فى الوجه القبلى . والتاريخ يحدثنا أن الأمم التى ترتكب الشهوات وتنغمس فى اللذائذ والمنكرات تكون عاقبتها الانحلال والضعف وفقدان الشخصية مهما تكن على قسط من الغنى والقوة أو الحضارة والمدنية (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

وليس هناك من علاج حاسم إلا ما قررته الشريعة الإسلامية من عقاب الزانى والزانية فى حزم وبساطة (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) فلو نفذ حد الزنا من جلد أو رجم لكفانا ذلك العمل على بساطته مؤونة البحث والتنقيب والخطابة والتأليف والكتابة والنشر وتأليف اللجان وما إلى ذلك مما لا يجدى نفعاً فى كبح جماح هــذه الغريزة الجنسية ولاسترحنا من الويلات والمشاكل والقضايا المترتبة على هذه الجريمة التى تشغل بالنا وتؤثر فى أمتنا

وهذا لا يمنع من إيجاد علاج شاف للنساء الساقطات اللاتي كن يحترفن البغاء العلني بما يمنع تسربهن إلى البغاء السري وذلك بإنشاء مؤسسات تكفل لهن العيش الشريف وضمان المستقبل يعملن فيها بأشغال يدوية كالحياكة وغيرها ويمنحن مكافآت مالية بقدر ما يعملن وتيسير زواجهن إلى أن ينقرض هذا الوباء بعلاج حاسم حازم سريع .

ولنتكلم عن عقوبة الزنا بشيء من الإيضاح لنبين الغرض منها :

قيدت الشريعة السمحة ثبوت هذه الجريمة واستحقاق العقوبة عليها بقيود شديدة تجعلها نادرة التنفيذ ووجهة النظر في التشريع الإسلامي هنا تنحصر في أمرين : الأول منع الجريمة الثاني ستر العرض .

فالإسلام يبني من وراء هذه العقوبة الصارمة الإرهاب . والخوف كان ولا يزال غريزة من غرائز النفس البشرية كثيراً ما يفيدنا في التشريع والإصلاح الاجتماعي لأن الدين الحنيف يريد استئصال الجريمة من أساسها لما في ذلك من استقرار النظام الاجتماعي وإسعاده ويريد بدوره ستر الأعراض وعدم الفضيحة والعار لقبح هذه الجريمة وشناعتها . لذلك كان ثبوتها من الصعوبة بمكان .

وإليك البيان :

أولا — اشترطت في رجم الزاني :

١ — أن يكون بالغاً فلا رجم الصبي طبعاً .

٢ — أن يكون عاقلا فليس المجنون محصناً فلا رجم .

٣ — أن يكون مسلماً .

٤ — أن يكون الزاني متزوجاً وأن يدخل بمن تزوج منها .

٥ — أن يكون فاعلا باختياره فلا رجم من أكره على الفعل

ثانياً — أسقطت الشريعة الحد إن وجدت أية شبهة لقوله عليه الصلاة والسلام « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ثالثاً — اشترطت لثبوت الزنا واستحقاق الحد سواء أكان رجماً للمحصن أم جلداً لغيره أن يتقدم للشهادة عليه أربعة شهود عدول في مجلس واحد شهدوا وقوع الجريمة ورأوا الفعل رأى العين على حد قول الفقهاء (كالمرود في المكحلة) فلو اختلفوا في الرؤية وتأخر أحدهم عن المجلس الواحد (الجلسة عينها) لم تثبت التهمة ولا حد . بل يحد الشهود الأول حد القذف لأنهم رموا إنساناً بالزنا والجريمة لم تثبت عليه .

رابعاً — رأى بعض الأئمة أن ترك الشهادة في جريمة الزنا أولى إلا إذا كان الزاني متهتكا فاجراً .

خامساً — حتمت الشريعة على القاضي في حالة إقرار الزاني على نفسه أن يرده أربع مرات وأن يتغافل عنه وأن يقول له (لعلك قبلت أو لمست) في كل مرة يعود فيها للستر من جهة ولصرامة العقوبة من جهة أخرى .

سادساً — إذا رجع المقر عن إقراره بعد ذلك ولو بعد صدور الحكم سقط الحد . من هذا كله نرى أن الشريعة قصدت إلى أمرين هما (منع الجريمة وستر الأعراض) إذ أن إنزال العقاب يكاد يكون مستحيلا مع كل هذه القيود التي سبق سردها ، على أن العقوبة نفسها مناسبة لأن هتك الأعراض وفساد المجتمع ليس بالشيء الهين الذي يحتمل الهوادة واللين .

الخمر :

إذا تحدثنا عن الخمر فإنما نتحدث عن أم الخبائث وأساس المنكرات ومبعث الجريمة . وسنبين فيما يلي الحقائق التالية ليتبين منها أثر الخمر في الأمن العام :

أولا — أن الغول (الكحول) الموجود بالخمر يؤثر على المجموع العصبي ويحدث التخدير والنشوة فلا يشعر الثمل بما يأتي من الأعمال ولا يقدر النتيجة المترتبة على فعله ، لهذا نجد كثيراً من المجرمين كالقتلة واللصوص يتعاطون المسكرات قبل شروعهم في إجرامهم ليزدادوا جرأة وإقداماً .

ثانياً — ثبت في بعض البلاد الأجنبية التي تنتج الخمر وتعتمد عليها كحاصلات أن نسبة الإجرام تزيد في موسم محصول الخمر زيادة تلفت النظر .

ومن الحوادث التي روتها الكتب أن شباناً كانوا يحتسون الخمر فمرت بهم عجوز فدعوها وناولوها كأساً فلما شربتها شعرت بخفة وسرور، ثم لما شربت الثانية أخذت تضحك وتداعب الشبان وقالت لهم: أيشرب نساؤكم هذا الشراب؟ قالوا : نعم قالت: لقد زنين ورب الكعبة .

والواقع الملموس أن كثيراً من حوادث الشغب وما يؤدي إليه من ارتكاب الجريمة يحدث في مواطن شرب الخمر من الحانات والشوارع التي يكثر فيها تناول الخمور . وهناك أقسام البوليس لا يهدأ لها بال ولا تكاد تخلو كل مساء من عدة حوادث

الأدب في سير أعلامه :

٣ ـ تولستوى . . . !

[قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

طفولة ونسب



ويتصف الطفل منذ نشأته بصفة لعلها وليدة شعوره القوى بذاته ، وتلك هى سرعة بكائه ، وما يبكى من غيظ فحسب ، فان عينيه لتدمعان إذا لقى حنواً أو مودة ممن هم أكبر منه ، وإن عجباً أن يبكى فى موضع السرور ليعبر بدمعه عن امتنانه ، فهل كان لذلك سبب آخر هو إحساسه بيتمه منذ أن فطن إلى موت أمه ؟ ولكنه بكاء شكاء من قبل أن يفطن إلى ذلك ، وهو لا يملك أن يحبس دمعه إذا رأى غيره يبكى وإن لم يدر ما بكاؤه ولقد يُغضب غيره حتى يبكيه ثم لا يستطيع إلا أن يبكى معه ؛ كتب فيما بعد عما كان بينه وبين تلك البنت التى كان يربيها أبوه فى أسرته فقال : « أتذكر أنى أخذت وقد تعلمت الفرنسية أعلمها حروفها الهجائية ، وسار ذلك سيراً طيباً أول الأمر ، وكنا يومئذ كلانا فى نحو الخامسة من عمره ؛ ولكن التعب أدركها فأمسكت عن نطق الحروف كما طلبت إليها ، فألححت عليها فبكت ثم إذا بى أبكى مثلها ، ولما دخل علينا من هم أكبر منا لم نجد ما نقوله بسبب ما كنا نذرف من الدمع » .

وكان ليو أكثر من غيره من الأطفال حباً للثناء عليه وابتهاجاً بما يسمع من عباراته ، وذلك أنه يفطن إلى أن الثناء عليه ينصرف بالضرورة إلى ما يبدى من دلائل الذكاء والنشاط والطموح ، إذ ليس يطمع فى ثناء عليه بسبب منظره أو ملاحة وجهه أو رشاقته كما عسى أن يطمع سيرجى أو نيقولا ؛ فما أبعده عن ذلك كله ، وهو شىء ليس فى طوقه ، وإن كان يتمنى بينه وبين نفسه لو وقعت معجزة فغيرت شكله إلى ما يحب من وجاهة

إجرامية منشؤها السكر والعربدة . وهى الأقسام القريبة من بؤر الدعارة ومحال الخمور .

ومن أجل ذلك حاولت بعض الدول الكبرى تحريم الخمر فى داخل أراضيها كأمريكا ، وحرمت بعضها تناولها فى أوقات معينة وهى ترمى إلى تقليل ضررها الجسمى والاجتماعى ما أمكن ذلك .

وبعد : فقد علم الله العليم الحكيم ما فى الخمر من ضرر جسيم وبلاء عظيم فحرمها الإسلام الحنيف وأوجب عقاب شاربها .

ويلاحظ أن العقوبة التى وضعت لهذا الجرم فيها إيذاء مادى للبدن . كما أن فيها إيلاماً وامتهاناً للنفس يتناسب مع امتهان الشارب لنفسه وحقارتها لسكره وعربدته حتى تكون زاجرة رادعة له ولغيره من العابثين المستهترين وهنا يستقر النظام ويستتب الأمن

ثمانون جلدة : عقاب فيه بساطة التشريع وبساطة التنفيذ جريا على عادة البساطة فى الشريعة الإسلامية السمحة والإسلام دين الفطرة ، ولكن الإسلام مبالغة فى الكرامة الإنسانية وإرادة للستر وتخفيفا على العباد اشترط أن يؤخذ الشارب ورائحة الخمر فى فمه .

فأوجب لثبوت الجريمة أن تكون مادتها موجودة وهى رائحة الخمر إلا إذا ذهبت الرائحة لبعد المسافة وطول الوقت ، واشترط لذلك أن يشهد على الشارب اثنان تتوفر فيهما العدالة وعدم التجريح وتنتفى التهمة وتنتفى معهما العقوبة بأية شبهة يظنها القضاء كأن يثبت أن المتهم شربها للعلاج مثلا .

ولو رجع فى إقراره بعد أن أقر بالشرب لا يحد ، وكذلك لو شهد الشاهدان ولا رائحة للخمر فى فمه .

فلله ما أسمى هذا التشريع وما أعدله وما أبعد أثره فى تقويم النفوس وتهذيب الأخلاق وسعادة المجتمع .

إن هذا التشريع هو ما يتطلبه المجتمع اليوم للقضاء على ما فيه من شرور وجرائم ليستريح الناس ويتطهر العالم مما علق به من رجس وآثام ويسير مطمئنا إلى حياة الاستقرار والسعادة والنور والسلام . (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)

علي حلمي

مدير جرجا

وحسن ؛ ولن تقع هذه المعجزة أبداً فليس له إلا أن يرق بنفسه ويبدى مقدرته ، ولهذا كان إذا دعى إلى عمل جمع عزمه وحرص الحرص كله على أن يكون فى أحسن حالاته ، ومن ذلك ما يكون منه بين يدى أبيه حين يدعوه إلى تلاوة قصيدة من شعر بوشكين أو غيره من الشعراء ، أو تلاوة أقصوصة من كتاب أو من ذاكرته أو حين يناقشه فى دروسه ليعلم مبلغ فهمه .

وكان شغفه بالموسيقى عظيما يتفتح لها قلبه وتنفعل لها نفسه ويبتهج خاطره إذا سمع لحناً وانشغل غيره عنه فهو مقبل عليه بقلبه ولبه كأنه مسحور به لا يكاد يعى دونه شيئاً .

ويحب ليو الناس جميعاً لا يضمر سوءاً لأحد ، ولا يتجهم لأحد ، ويكره أن يرى شخصاً يتألم أو تمشى فى وجهه كدرة الهم كما يكره أن يعبس أحدهم فى وجه صاحبه أو يتنكر له أو يتجهمه بالقول ، فالصفاء والمحبة والمودة من خصائص طبعه ومقومات خلقه

غلام نابه

تمكنت من نفس الصبى روح المحبة للناس جميعاً ، ولسوف تتوثق على الأيام وتزداد فيكون لها أثرها البعيد فى تكوين آراء الكاتب العظيم فى غد ، وفى توجيه روحه وتحديد مسلكه فى مواطن كثيرة من مواقف حياته .

وكان يحب الطفل فيمن أحب فى طفولته كبيرة الخدم العجوز التى لبثت من عمرها فى القصر سنين طويلة لا يدرك مدى طولها ، والتى تقص عليه أجمل القصص عن أجداده وأحداث أسرته وتلاعبه وتضاحكه كلما ذهب إليها أو كلما لقيته فى إحدى ردهات القصر أو حجراته ، وتخبىء له الحلوى فى ثيابها لتلاقيه بها أو تفتح له خزانتها ليأخذ منها ما يحب ؛ وكان كذلك يحب كبير خدم المائدة لأنه يهش له دائماً ويظهر الودة والعطف ؛ والحق أنه كان يحب الخدم جميعاً وإنما يختص بمحبته من هم أكثر تودداً إليه .

دخل يوماً على العمة تاتيانا يشكو إليها أنه رأى منظراً كدره وآلمه ، وذلك أنه شاهد أحد الفلاحين يساق إلى حظيرة حيث أوثقه رئيسه وضربه ، ولما سألته عمته لم لم يحل بينه وبين الضرب أطرق فى خجل ولم يحر جواباً ، وكأنما يزداد ألماً ألا يستطيع أن يتدارك ما فاته .

وبينما كان أفراد الأسرة كبارهم وصغارهم فى البهو الكبير ذات ليلة من ليالى الشتاء أشار الكونت نيقولا رب الأسرة بسبابته إلى الحجرة المقابلة وكانت مفتوحة ، فوقعت أعين الجالسين على منظر أثار ضحكهم ودهشتهم فقد عكست المرآة فيها صورة أحد الخدم يمشى على أطراف أصابعه ، وما زال حتى بلغ صندوق الطباق فسرق منه قدراً وانصرف ، وكان الكونت ينظر إليه ضاحكا لم تزل عنه بشاشته ، بل لقد صحب تلك البشاشة شىء من التسامح والرفق ، ولما رأى ليو تسامح أبيه امتلأ سروراً منه وازداد إعجاباً به ، وعند انصرافه لثم يده فى حماسة ظاهرة ليريه مقدار ما فى نفسه من رضاء على ما أظهر من رحمة ورفق .

وامتد عطف الصبى حتى وسع الحيوان فقد أحزنه ذات يوم مرأى كلب مربيه والخدم يشنقونه ، وكان ذلك الكلب العزيز الرمادى اللون ذو العينين الجليلتين والشعر الناعم الجعد على حد وصفه قد أصيب بكسر ساقه إذ مرت فوقه عربة ، فأعدم إذ لم تعد بهم حاجة إليه فى الصيد ؛ وعجب الصبى لما رأى بقدر ما تألم منه. وإنه ليروى هذا الحادث بعد فيما يروى من حوادث الصغر مما يدل على شديد تأثره به ، قال : « كان الكلب يعانى الألم وكان مريضاً وقد شنق بسبب ذلك . لقد أحسست أن هناك خطأ فيما يقع ، ولكنى لم أجرؤ على الثقة فى شعورى حيال ما أرى من تصميم ثابت من جانب قوم أحترمهم » .

ووقف الصبى ذات يوم يمسح بكمه الصغيرة حصانه ، وقد وثب عن ظهره إلى الأرض إذ نبهه أحد الفلاحين وقد رآه يضربه ألا جدوى من ضربه لأنه متعب ، ونظر الصبى إلى الحصان وهو يلهث ويخرج أنفاسه فى زفرات مؤلمة متقطعة ، وجنباه يرتعشان والعرق يتبخر منهما ، فبلغ من حزنه أنه « أخذ يقبل عنقه الذى بلله العرق ويسأله الصفح عما أوقع به من أذى » ...

وممن وسعهم عطف الصبى وشملهم بره أولئك الفقراء الذين كان يعدهم الناس من الصالحين الأولياء ، وكانوا كثيرين فى تلك المنطقة لقربها من كييف حيث يتقاطر الحجيج ليزوروا مواضعها المقدسة ، وكان مرأى هؤلاء فى أسمالهم البالية وبلاهتهم وتمتماتهم وعدم اكتراثهم لأى شىء أمراً يثير الدهشة فى نفس الصبى كما يبعث فيها كثيراً من الرهبة ، ويوحى إلى خياله أطيافاً مبهمة وصوراً غامضة ؛ وكان ينبئه إخوته أن فى هؤلاء الصالحين سراً لا يمكن كشفه يجعلهم على الرغم من حقارة مظهرهم وقذارة

أسمالهم أقرب الناس إلى مرتبة القديسين ، وقد وصف تولستوى هذه الطائفة فى شخص « جريشا » الذى تحدث عنه فى كتابه « عهد الطفولة » وقد كتبه وهو فى الخامسة والعشرين من عمره قال : « كان جريشا شخصية مخترعة ، وكان يغشى منزلنا كثير من هؤلاء البله الطيبين ، وقد عُلّمت أن أنظر إليهم نظرة الاحترام الشديد وهو صنيع أحفظه لمن قاموا على تربيتى ، ولئن كان بين هؤلاء من يعوزه الإخلاص أو من قضى فيما سلف أياما فى حالة من الضعف والادعاء فان غايتهم فى الحياة كانت على ما يبدو من سخفها فى الواقع بالغة السمو ؛ حتى إنه ليسرنى أنى تعلمت فى طفولتى على غير وعى منى ما وصلوا إليه بأعمالهم من علو ، لقد صنعوا ما تحدث عنه ماركس أوريليوس حين قال : « ليس هناك أسمى من أن يتحمل المرء الازدراء من أجل أن يحيا حياة صالحة طيبة » إن الطموح الإنسانى إلى المجد والعظمة أمر لا يمكن تجنبه وهو كذلك بالغ الضرر إذ أنه يفسد كل عمل حميد ، فلا يسع المرء إلا العطف على أولئك الذين لا يقتصرون على بذل جهدهم لتجنب أن يحمدوا فحسب بل ويتعرضون فوق ذلك للاحتقار ...

ومما كان يبهج نفس الصبى ويحبب إليه الحياة ما كانت تحتشد له الأسرة من مظاهر الفرح فى أعيادها وعلى الأخص عيد الميلاد ، فكانت تشيع البهجة فى البيت كله فترى دلائلها فى كل وجه وتحس روحها فى كل ناحية ، فرب الأسرة وسيداتها وأبناؤها وجميع من فى القصر من خدم يتبادلون المحبة والمودة ويبدون سعداء فى ثيابهم الجديدة ويستمتعون بما طاب من الطعام والشراب ، حتى الفلاحين ينالهم حظ من هذا الفرح فتطيب نفوسهم وهذا ما ينشرح له صدر الصبى .

وكان خروجه إلى الغابة للصيد مع أبيه وإخوته فى العربات الجميلة أو على ظهور الخيل المسومة الفخمة يحيط بهم رهط من الأتباع وعدد من كلاب الصيد مما يملأ قلب الصبى سروراً وبهجة ، وكثيراً ما كان يبهجه كذلك الخروج إلى الغابة لغير الصيد فى صحبة العمة تاتيانا أو فى صحبة جدته أو غيرهما من المربين فيرتع ويلعب ويقتطف ما شاء من الزهر ، ويستمع إلى القصص حتى يعود إلى البيت وهو يطفر كما يطفر العصفور من فرط المرح .

وفى ليالى الشتاء كان تحلق الأسرة حول الموقد والاستماع إلى الموسيقى أو القصص الممتعة ، وتبادل العطف بين الكبار والصغار وبين بعضهم مع بعض مما يحببه الصبى ويأنس به ويحرص كل الحرص على شهوده ...

وليس ثمة إلا حجرة الدراسة تخلو من البهجة ويلقى فيها من دروسه عنتاً ورهقاً ، على أن عطف معلمه عليه يخفف عنه ، ورغبته فى أن يرقى بنفسه ويكتسب من دواعى الفخر ما يباهى به إخوته يحمله يتكئ على نفسه ويصبر على مكاره الدرس .

وفيما عدا هذا كانت طفولته بهيجة محببة إلى نفسه ولن تجد وصفاً لهاتيك الأيام السعيدة الحلوة أبلغ مما كتبه عنها بعد ذلك فى أول كتاب له وهو كتابه « عهد الطفولة » قال « ما أسعد هاتيك الأيام الحلوة أيام الطفولة التى لا تنمحى ذكراها ، وكيف ينسى امرؤ أن يحب ذكرياتها وأن ينعم بها ؛ إن هذه الذكريات لتنعش روحى وتسمو بها ، وهى المنبع لأعظم فيض من السرور يغمرنى ، وأى وقت هو خير من ذلك الوقت الذى لا يكون للحياة فيه من دوافع غير دافعين هما فى الفضائل أجل فضيلتين : اللهو البرىء ورغبة النفس فى الحب رغبة لا تحد » .

(يتبع)

الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٦١ — تهنئة بإسلام

عيون الأخبار : كتب رجل من الكتاب إلى (صديق له) قد أسلم يهنئه :

الحمد لله الذى أرشد أمرك ، وخص بالتوفيق عزمك ، وأوضح فضيلة عقلك ، ورجاحة رأيك ، فما كانت الآداب التى حويتها ، والمعرفة التى أوتيتها لتدوم بك على غواية وديانة شائنة لا تليق بلبك ، ولا يبرح ذوو الحجى من موجبى حقك ينكرون إبطاءك عن حظك ، وتركك البدار إلى الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره ، ولا يثيب إلا به ، فقال : [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً[1] فلن يقبل منه] وقال : [إن الدين عند الله الإسلام] ، والحمد لله الذى جعلك فى سابق علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهل ولايته ، وشرفه بولاء خليفته ، وهناك الله نعمته ، وأعانك على شكره ، فقد أصبحت لنا أخاً ندين بمودته وموالاته ، بعد التأثم[2] من خلطتك ، ومخالفة الحق بمشايعتك ، فإن الله (عزوجل) يقول: [لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[3]]

(١) العكبرى : (دينا) تميز ، ويجوز أن يكون مفعول يبتغ و (غير) صفة قدمت عليه فصارت حالا .

(٢) الأساس : تقول : فلان من الحياء يتلم ، ومن اللمم يتأثم أى يتحرج .

(٣) الكشاف : (لا تجد قوماً) من باب التخييل ، خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين ، والغرض به أنه لا ينبغى أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ، ولا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم ، وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله : (ولو كانوا آباءهم) ... وفيه فى تفسير (انه ليس من أهلك : انه عمل غير صالح) : تعليل لانتفاء كونه من أهله ، وفيه إيذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك فى دينك ومعتقدك من الأباعد فى المنصب — وإن كان حبشيا وكنت قرشيا — لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك — وإن كان أمس أقاربك رحما — فهو أبعد بعيد منك ...

٨٦٢ — بالعدل قامت السموات والأرض

مفاتيح الغيب للرازى : العدل واجب الرعاية فى جميع الأحوال ، ومن الكلمات المشهورة : (بالعدل قامت السموات والأرض) ومعناه أن مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة متكافئة بل كان بعضها أزيد بحسب الكمية وبحسب الكيفية من الآخر لاستولى الغالب على المغلوب ، ووهى المغلوب ، وتنقلب الطبائع كلها إلى طبيعة الجرم الغالب . ولو كان بعد الشمس من الأرض أقل مما هو الآن لعظمت السخونة فى هذا العالم واحترق كل ما هذا العالم ، ولو كان بعدها أزيد مما هو الآن لاستولى البرد والجمود على هذا العالم ، وكذا القول فى مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها ، فان الواحد منها لو كان أزيد مما هو الآن أو كان أنقص مما هو الآن لاختلت مصالح هذا العالم . فظهر بهذا السبب الذى ذكرناه صدق قولهم : بالعدل قامت السموات والأرض[1] .

٨٦٣ — عللانى وعللا صاحبيا

عمرو بن الإطنابة :

عللانى وعللا صاحبيا واسقيانى من المروق ريّا

إن فينا القيان يعزفن بالدف (م) لفتياننا وعيشاً رخيا

يتبارين فى النعيم ويصببن (م) خلال القرون مسكا ذكيا

إنما همهن أن يتحلين (م) سموطاً وسنبلا فارسيا

من سموط المرجان فصل بالشذر (م) فأحسن بحليهن حليا !

٨٦٤ — الغيبة

شرح النهج لابن أبى الحديد : إن الغيبة ليست مقصورة على اللسان فقط بل كل ما عرفت به صاحبك نقص أخيك فهو غيبة ، فقد يكون ذلك باللسان ، وقد يكون بالإشارة والإيماء وبالمحاكاة نحو أن يمشى خلف الأعرج متمارجاً ، وبالكتاب فان القلم أحد اللسانين . وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء[2] المرائين ،

(١) فى شرح (النهج) لابن أبى الحديد : العدل سائس عام فى جميع الأمور الدينية والدنيوية ، وبه نظام العالم وقوام الوجود .

(٢) الأساس : فلان قارىء وقراء — بفتح القاف — ناسك عابد ، وهو من القراء ، وقال جرير :

يا أيها القارىء المرخى عمامته هذا زمانك إنى قد مضى زمنى

وقد تقرأ فلان : تنسك .

وذلك نحو أن يذكر عندهم إنسان فيقول قائلهم : الحمد لله الذى لم يبلنا بدخول أبواب السلطان والتبذل فى طلب الحطام ، وقصده أن يفهم الغير[١] عيب ذلك الشخص فتخرج الغيبة فى مخرج الحمد والشكر لله تعالى . فيحصل من ذلك غيبة المسلم ، ويحصل منه الرياء وإظهار التعفف عن الغيبة وهو واقع فيها ، وكذلك يقول : لقد ساءنى ما يذكر به فلان نسأل الله أن يعصمه . ويكون كاذباً فى دعوى أنه ساءه وفى إظهار الدعاء له ، بل لو قصد الدعاء له لأخفاه فى خلوة عقب صلواته ، ولو كان قد ساءه لساءه أيضاً إظهار ما يكرهه ذلك الإنسان . واعلم أن الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب كالغيبة بل أشد لأنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها ، وإذا كان السامع الساكت شريك المغتاب فما ظنك بالمجتهد فى حصول الغيبة[٢] .

٨٦٥ — قليل الراح صديق الروح

خاص الخاص للثعالبى : حنين بن إسحاق المترجم اتفق له هذه اللفظة الوجيزة الشريفة البديعة التى لم أسمع للبلغاء مثلها فى الجمع بين التجنيس والطباق والترصيع مع حسن المعنى وجودته وصحته وهى قليل الراح صديق الروح ، وكثيره عدو الجسم .

٨٦٦ — أسد همذان

معجم البلدان : من عجائب همذان صورة أسد من حجر على باب المدينة منحوت من صخرة واحدة غير منفصلة عن قوائمه كأنه ليث غابة . وكان المكتفى يهم بحمله من باب همذان إلى بغداد ، وذلك أنه نظر إليه فاستحسنه ، وكتب إلى عامل البلد يأمره بذلك . فاجتمع وجوه أهل الناحية ، وقالوا : هذا طلسم لبلدنا من آفات كثيرة ، ولا يجوز نقله فتهلك البلد ، فكتب العامل بذلك ، وصعب حمله فى تلك العقاب والجبال ، وكان قد أمر بحمل الفيلة لنقله على العجلة ، فلما بلغه ذلك فترت همته فى نقله فبقى فى مكانه إلى الآن .

قال محمد بن أحمد السلمى المعروف بابن الحاجب يذكر الأسد على باب همذان :

ألا أيها الليث الطويل مقامه … على نوب الأيام والحدثان

أقمت فما تنوى البراح بحيلة … كأنك بواب على همذان

أطالب ذحل أنت من عند أهلها ؟ … أبن لى بحق واقسم ببيان

أراك على الأيام تزداد جدة … كأنك منها آخذ بأمان

أقبلك كان الدهر أم كنت قبله … فنعلم أم ربيتما بلبان

وهل أنتما ضدان ، كل تفردت … به نسبة أم أنتما أخوان

بقيت فما تفنى وأفنيت عالماً … سطا بهم موت بكل مكان

فلو كنت ذا نطق جلست محدثاً … وحدثتنا عن أهل كل زمان

ولو كنت ذا روح تطالب مأكلا … لأفنيت أكلا سائر الحيوان

أجنبت شر الموت أم أنت منظر … وإبليس حتى يبعث الثقلان

فلا هرماً تخشى ولا الموت تتقى … بعضب سيف أو شباة سنان !

٨٦٧ — تتنفس النفوس بقدر هممها

اللمحة البدرية فى الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب : تذوكر يوماً بحضرته — يعنى محمد بن إسماعيل من ملوك بنى نصر فى الأندلس — معنى قول المتنبى :

أيا خدد الله ورد الخدود … وقد قدود الحسان القدود

وقول امرئ القيس :

وإن تك قد ساءتك منى خليقة … فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

وقول إبراهيم بن سهل :

إنى له من دمى المسفوك معتذر … أقول حملته من سفكه تعبا

فقال (رحمه الله) بديهاً — على حداثته — : بينهم ما بين نفَس ملك عربى وشاعر عربى ، ونفَس يهودى تحت الذمة ، وإنما تتنفس النفوس بقدر هممها .

(١) دخول (ال) على (غير) فى كلام المولدين كثير .

(٢) لخصت هذه القطعة من فصل فى الغيبة فى شرح (النهج) وفيها جمل كثيرة من (الأحياء) لم يعزها الشارح إليه .

ملحمة:

بطـــل الريف

الأمير ابن عبد الكريم الخطابي

للأســـتاذ محمود رمزي نظيم

[كنت يوم انهيار جهاد الأمير الجليل محمد عبد الكريم الخطابي أمير الريف ووقوعه في الخدعة الفرنسية قد نظمت هذه المزدوجة وقد رأيت نشرها اليوم على صفحات الرسالة الخالدة في الظرف الحاضر بمناسبة ما يجرى لفك إساره].

العين تبكي والدموع تجري   ولم يعد ذاك النسيم يسري
«عبد الكريم» جاثم في الأسر   وكان محفوفاً بجند النصر

تسليمه قد حار فيه الساسه   من بعد طول الجهد والحماسه
وبعد ذاك الحزم والكياسه   وقد أضل أمره السياسه
ولم تفز منه بكشف السر

رباه ما أتعس حظ الشرق   من حالق به الخطوب تلقي
ويل لنا من مزعجات البرق   صواعق تهوى بنا كالبرق
تجيئنا منـــذرة بالشر

الشرق نامت عينه طويلا   ولم يزل مضطجعاً عليلا(١)
والجهل أرخى حوله سدولا   فلم يجد لبعثه سبيلا
وصار لا يملك كشف الضر

كم أمة من أهله مستعبده   راسفة في جهلها مقيده
وليس منها من تعيش سيده   بشعبها وعلمها مؤيده
وحره يعيش غـير حر

وما أذل الشرق غير أهله   وما به من خلفه وجهله
فما الذي أصابه في عقله   ألم يكن في فرعه كأصله
حتى استنام لحياة الأسر

والجهل قاده إلى التعصب   وكثرة الشجار والتحزب
تنافر ووحدة في الطلب   هذا ضلال كله في مذهبي
وبحره ليس له من بر

فانظر إلى تطاحن المنـود   تعصب يعزى إلى الجـمود
ولم يكن لعـلة الوجود   ولا القديم احتـك بالجديد
لـكنه من نكبات الدهر

العصر عصر النور والحياة   وليس عصر هذه الآفات
ألم يحن لهذه الرفات   قيامها من غفوة الأموات
ألم تكن من أهل هذا العصر

دسائس الغرب لنا تكيد   وهكذا الأسياد والعبيد
فهم يريدون ولا نريد   ونارهم نحن لها الوقود
ونحن في حسابهم كالذر

لهم عقول للحيـاة تعمل   تعمقوا في فهمها وأوغلوا
وجددوا وغـيروا وبدلوا   وجربوا وهذبوا وحولوا
فجملوا الزئبـق ذوب التبر

واخـترعوا فحيروا ألبـابنا   وملكوا بسعيهم زمامنا
كيف نقول ما لهم وما لنا   إذا استغل علمهم خمولنا
وجرعوا الشرق كؤوس المر

غواصة تسبح تحت المـاء   طائرة تطير في الفضاء
وصوت «لاسلـكي» في الهواء   فيا لهم من عالم أحيـاء
ويا لنا من عالم في القبر

مستضعفون كلنـا أذله   ونحن داؤنا ونحن العله
كل زعيم قام يشفي الغله   نتركه في وحشة مملـه
في عزلة كتائه في القفر

وكم يثير الحسد البغيض   وكم إناء حاسد يفيض
وهـكذا لا يبرأ المريض   وكل ماء أمل يغيـض
وينتهي جهاد كل بر

كم وقفـة بين أسود الريف   للبطل المستـلم الشريف
فيـا له في جهده المنيف   من أسـد مكشر مخيف
في معقل يشبه وكر النسر

ممتنع كالأسد المصـور   مرابط للضرب في النحـور
فما لهذا القائد المنصور   قد غلبته قـوة المقدور
فسلم الأمر لرب الأمر

(١) كان أيام ذاك وأعيذه الآن .

صيت جهاده علا وطارا وطبق البلاد والأقطارا
وأدهش العقول والأفكارا ثم هوى من شاهق وانهارا
وأوقعوه فى شباك الغدر

بالأمس قاد جنده الشجعانا ببأسه وقهر الإسبانا
وساقهم أمامه قطعانا وأحسن البلاء والطعانا
فانقلبت فلولهم بالكسر

وعاد بالنصر وبالسلاب وجنده دامية الحراب
وسد باب الحرب والخراب بعد طويل الطعن والضراب
منذ رمى أعداءه فى البحر

واستبشر الشرق بهذا الربح وهال القوم لهذا الرمح
ولم يكد يبش وجه الصبح حتى أثار الغرب نار الفتح
كى يسترد ثمرات النصر

هب الفرنسيس مع الإسبان لخوض نار الحرب والطعان
وليس ليث الريف بالجبان فقابل النيران بالنيران
حتى جرت دماؤهم كالنهر

ودكت الجبال بالقنابل والطائرات هطلت بوابل
وسال بركان على القبائل يذهب بالأرواح والمنازل
والريف ملتف بثوب الصبر

ليست به موارد غنيه وإنما نفوسه أبيه
وحب حريته سجيه ولم يزل ملتهبا حميه
فى شدة جديرة بالفخر

والحرب ما زالت رحاها دائره والريف لم تدر عليه الدائره
ولم تزل فيه العقول حائره ويفتدى بكل نفس ثائره
حرية غاليـة فى المهر

وجددت أبناؤه العزائما أن لا يكونوا للعدا غنائما
وأن يموتوا أو يعيشوا دائما ولا يكون الغرب فيهم حاكما
وما جرى به القضاء يجرى

«منيل الروضة» أبو الوفاء
محمود رمزى نظيم

صحائف مطوية :

التحكيم بين العمال وأصحاب الأعمال

فتوى دينية اجتماعية

للمغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

تعتبر العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال من أهم المشاكل الاجتماعية التى تشغل تفكير الحكومات والهيئات ، وعلى الرغم من الجهود الطويلة التى بذلت فى الخمسين سنة الماضية لتذليل هذه المشكلة بما يحسم الخلاف الذى ينشب بين الجانبين على وضع عادل سليم يضمن للعامل راحة الجهد ووفرة الأجر ، ويضمن لصاحب العمل تقدم الإنتاج وحسن الربح ، وعلى الرغم من تأليف النقابات والهيئات ووضع اللوائح والتشريعات لتنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال فإن المشكلة لا تزال قائمة ، وكلما نشب خلاف بين الطرفين انتشر الأمر ، وتشبث كل بوجهته ووقعت الحكومة فى حيرة لأنها لا تجد مجالا لاستخدام نفوذها فى هذه الحال إلا بمنع ما قد يقع من تخريب .

وبينا كنا نقلب الصفحات ، وقفنا على فتوى جليلة للمغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى شأن ما يكون من الخلاف بين العمال وأصحاب الأعمال ، وكان المرحوم الأستاذ فرح أنطون صاحب مجلة الجامعة قد كتب إلى الأستاذ الإمام يستفتيه فى هذا الموضوع فكتب إليه بتلك الفتوى ، فنشرها الأستاذ أنطون فى مجلته ومهد لها بمقدمة طويلة قال فيها :

« كنا نطالع ما كتب بشأن العمال وأصحاب الأعمال فى البلاد الإسلامية فمررنا فى أثناء المطالعة على مقال هام لكاتب فرنسى موضوعه « العمل والعمال فى الجزائر » . ومما أدهشنا فى هذا المقال قول كاتبه : إن عقدة العقد التى يتخاصم الآن حولها أهل العمل وأهل المال فى العالم كله ، والتى هى مشكلة المسائل الاجتماعية فى هذا العصر قد حلتها الشريعة الإسلامية ، فإنها

أوجبت التحكيم بين العامل وصاحب العمل متى قام نزاع بينهما ، فوقفنا عند هذا القول الخطير ، وقلنا إذا كان قائله لم يلق الكلام على عواهنه فالشريعة الإسلامية يحق لها أن تفخر بأنها تقدمت في مبدأ العمل الشريعة الدينية الحديثة ، ولم نستبعد هذا الأمر لأن مبادىء الأديان القديمة قائمة على عدم احترام حق الملك احتراماً مهماً ، وعلى التعاون والمساواة بين أفرادها ، خلافاً لمبادىء المدنية الجديدة القائمة على بقاء الأفضل وتنازع البقاء ، أي قيام القوى وسقوط الضعيف ، وهو معنى حماية حرية الأفراد وملكهم شخصياً وتجارياً وصناعياً ، وقد أخذنا نبحث عن هذه المسألة في الكتب التي لدينا ولما لم يرتو لنا منها غليل لم يبق أمامنا سوى استفتاء حملة الشرع الإسلامي فيها ، فاغتنمنا هذه الفرصة لتجدد عواطف الاحترام لفضيلة العلامة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وحجة الشرق على الغرب في هذا العصر ونغترف من بحر علمه بالشريعة الغراء فضلا عن رغبتنا في الوقوف على رأي الشرع في هذه المسألة ، فكتبنا إلى فضيلة الأستاذ نستفتيه فيها فتفضل علينا فضيلته بالكتاب التالي :

« تلوت كتابكم بعد رجوعي من السفر ولا يخفى على حضرتكم أن التحكيم كما يفهم من لفظه يلزم أن يكون باتفاق الخصمين اللذين يريدان أن يقضي في النزاع بينهما بالتحكيم فهو اختياري بطبيعته ، ولا يكون إلا فيما هو من حقوق العباد التي يقع التنازع فيها بينهم ولا يجبر أحد خصمين على أن يتحاكم إلى من يفصل بينه وبين خصمه إلا إذا كان الترافع إلى محكمة من تلك المحاكم التي تقررها القوانين العامة أو الخاصة . والعامل متى علم الأجرة وزمن العمل فهو حر إن شاء قبل أن يعمل تحت شرط مقدار الأجرة ومدة العمل وإن شاء لم يقبل . فهذه هي القواعد العامة المتعلقة بأجرة العمال وتقيد أزمان عملهم ولا وجه لاختلاف العامل ورب المال قبل الدخول في العمل ، والمقصود أن يكون الاختلاف في الوفاء بالشرط وعدم الوفاء به والذي يفصل فيه عند ذلك المحاكم أو المحكمون إذا اختار المتنازعان طريقة التحكيم . أما الحالة القائمة الآن في أوربا فنشؤها أمران : أحدهما اضطرار العامل للعمل لأنه لا وسيلة له إلى المعيشة سواه . وثانيهما مبالغة رب المال في طلب الربح لأن توفير المال أصبح من أهم ما يسعى إليه طلابه في تلك البلاد . فالأول يرغب أن يزاد له الأجر وأن ينقص من زمن العمل ، والثاني يبتغي تقدير الأجر والزمن كما يريد ، والأول لا يجد من أرباب المال من يجيبه إلى طلبه ، والآخر لا يجد من العمال من يرضى بتقديره . فإذا اتفق العمال على ما يلجئون به أرباب الأموال إلى موافاة رغبتهم حدث ما يسمى بالاعتصاب فيتفق العمال على تعطيل الأعمال حتى يلجئوا أرباب الأموال إلى إجابة مطالبهم ، ولرب المال أن يصبر حتى يلدغ الجوع عماله فيرضوا بما يريد ، وللعمال أن يصبروا حتى يضطر الخسران رب المال إلى إجابتهم فيما يطلبون ، ولكل منهم أن يتفق مع الآخر في تحكيم محكمين يذعن الفريقان لحكمهم بعد استيفاء شرائط التحكيم ، ولا يلزم أحد الفريقين بأن يحكم أحداً أو لا يحكم » .

إنما يوجد في أصول الأحكام الإسلامية أن القيام بالصناعات الضرورية لقوام المعيشة أو للدفاع عن حوزتها فإذا تعطلت الصناعات وجب على القائم بأمر الأمة أن يتخذ السبيل إلى إقامتها بما يرفع الضرورة والحرج عن الناس ، وكذلك إذا تحكم باعة الأقوات ورفعوا أثمانها إلى حد فاحش وجب على الحاكم في كثير من المذاهب الإسلامية أن يضع حداً للأثمان التي تباع بها » .

« وهكذا يدخل الحاكم في شؤون الخاصة وأعمالهم إذا خشي الضرر العام في شيء من تصرفهم . فإذا تعصب العمال في بلد وأضربوا عن الاشتغال في عمل تكون ثمرته من ضروريات المعيشة فيه ، وكان ترك العمل يفضي إلى شمول الضرر كان للحاكم أن يتدخل في الأمر وينظر بما خوّل له من رعاية المصالح العامة . فإذا وجد الحق في جانب العمال وإن ما يكلفون به من قبل أرباب الأموال مما لا يستطاع عادة ألزم أرباب الأموال بالرفق سواء كان بالزيادة في الأجرة أو النقص في مدة العمل أو بهما جميعاً . وإذا رأى الحق في جانب أرباب الأموال وكان النزق من العمال قضى عليهم بالعمل كما يقضي على المغالين في ثمن الأقوات بالبيع بالثمن اللائق متى ظهر فحش عملهم وظلمهم للعامة . هذا ولا يعرف في الشرع الإسلامي إيجاب التحكيم بين العامل ورب المال إلا أن يكون شيء لم نطلع عليه » .

« نعم جاء وجوب التحكيم في كثير من المذاهب الإسلامية في مسألة واحدة ، وهي مسألة الشقاق بين الزوجين إذا رفع إلى القاضي . فقال الشافعية « إذا اشتد شقاق بينهما » « الزوجين » بأن داما على التساب والتضارب وجب على القاضي أن يبعث حكمين ، لكل منهما حكم برضاه ويُسن أن يكون الحكمان من أهل الزوجين » وقال المالكية « إذا ظهر ظلم أحد الزوجين للآخر وجب

ردع الظالم ، فاذا أشكل الأمر على القاضى ولم يعرف أيهما الظالم وجب عليه أن يبعث بالحكمين على نحو ما عند الشافعية » وجعل الحنفية ذلك حقاً من حقوق الحاكم يعمل به إذا اشتد النزاع بين الزوجين ورفع إليه الأمر . والأصل فى ذلك قوله تعالى فى سورة النساء « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما » فالذى يظهر من لفظ الآية إيجاب التحكيم على أولى الأمر إذا رفع إليهم نزاع بين زوجين أو هو إيجاب للتحكيم على من بلغه الأمر من الحاكم أو جماعة المسلمين ، فإن الخطاب فى قوله « وإن خفتم » للمسلمين سواء كانوا أولى أمر أو غيرهم وذلك لأن الزوجين قد ارتبطا برباط عقد الزواج ووحد بينهما من الصلة ما يهتم بالحرص عليه ووجد بين أهلهما من وشائج القرابة بالمصاهرة ما لا يصح التساهل فى توهينه وتقطع ما اتصل به ، ولهذا أمر الله تعالى عباده متى أحسوا بشقاق بين الزوجين وهو النزاع الشديد أن يختاروا من أهل الزوجين حكمين حكما من أهل الزوج برضاه وحكما من أهل الزوجة برضاه ليبحث كل مع صاحبه ويقف على أسباب النزاع وما عساه يكون من أسرار لا يقف عليها القاضى ولا أعوانه ، وعلى الحكمين أن يبذلا ما فى وسعهما للتوفيق بين الزوجين المتنازعين وإلزام كل منهما بما يريانه لازماً فى صلاح العشرة بينهما وحاسماً للنزاع فيما يستقبل من أمرهما فإذا لم يجدا سبيلا إلى الوفاق بعد بذل ما فى طاقتهما فلهما أن يقضيا بالطلاق فى بعض المذاهب على طريقة معينة إذا رأيا المصلحة فيه ، وبعض المذاهب لا يعطيهما الحق بل ينتهى عملهما بالعجز عن التوفيق بين الزوجين . وعلى كل حال فإيجاب التحكيم فى أمر الزوجين معقول فإن ما يقع بينهما لو لم يصلح بنحو هذه الطريقة أفضى إلى فساد فى البيوت بين الأولاد والأقارب ، ومثل هذا الفساد مما يسرى وينتشر حتى يؤذى الأمة بتمامها فى صلاتها بعضها مع بعض كما شوهد ذلك عند إهمال هذا الحكم الجليل من زمن طويل حتى كأنه لم يرد فى التنزيل . فإذا كان ذلك الكاتب الفرنسوى يعنى هذا الأصل ويشير إليه ويريد أن يقتبس به ما يقع بين العملة فذلك رأيه وحده والسلام .

١٤ رجب سنة ١٣٢٣

محمد عبده

مفتى الديار المصرية

الأدب والفن في أسبوع

قصة المخطوطات العربية :

كثر الحديث فى هذه الأيام عن المخطوطات العربية ، ووجوب العناية بها ، وجمع شتاتها المفرق فى خزائن الشرق والغرب ، ويجرى الحديث فى هذا فياضاً بالحماسة والغيرة ، وينادى الكثيرون بأن العناية بهذا فى مقدمة ما يجب على الأمة العربية ، ولا عجب ! فان الشرق العربى اليوم فى فترة يقظة يبحث فيها عن نفسه ، ويجاهد ليجمع بين يومه وأمسه .

وكان قد أذيع من قبل أن اللجنة الثقافية فى جامعة الدول العربية معنية بهذا الأمر ، وأنها قد قررت فى هذا خطة ستمضى عليها فى إحياء التراث العربى وجمع المخطوطات النادرة المتفرقة ، سواء ماهو منها فى حيازة الأفراد أو فى ملك الهيئات والحكومات ، ولكننا لا ندرى ماذا بلغت من هذه الخطة وماذا أجدت فى هذا السبيل .

وللتراث العربى من قديم الزمن قصة ، بل مأساة أليمة مثلت فصولها ومشاهدها على مسرح الأحداث القاتمة والأيام المظلمة ، فقد انتهب هذا التراث أيام غارات التتار ، وفى الحروب الصليبية بالشرق ، والحروب الصليبية بالأندلس ؛ ثم كان أن غزا الأتراك العثمانيون أقطار الشرق العربى وبسطوا نفوذهم فكان أول ما قصدوا إليه أن نقلوا كثيراً من المخطوطات العربية إلى مكاتب الآستانة ، ثم كان أخيراً أن تسلط الغرب على الشرق فتسلطت أيدى الأوروبيين على المخطوطات العربية بالسلب والسرقة والاحتيال حتى اكتظت بها مكاتب لندن وباريس وبرلين على حين أقفرت منها مكاتب العرب أنفسهم .

ولما اتجهت رغبة المغفور له أحمد حشمت باشا فى مطلع هذا القرن إلى النهوض بمشروع « إحياء الآداب العربية » ، ونشر المخطوطات العظيمة النادرة ؛ كان أول ما فكر فيه هو الاعتماد على مكاتب الآستانة ، فسافر فعلا إلى هناك المغفور له

أحمد زكى باشا ، وقام بتصوير ونقل كثير من المصادر العربية النافعة التى نشرتها ولاتزال تتولى نشرها دار الكتب إلى اليوم .

وفى هـذا المقام نرى من الوفاء للحق ، أن نذكر عالمين جليلين بالخير والثناء هما المغفور لهما أحمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا ، فقد بذل هذان الرجلان كثيراً من الجهود الصادقة والأموال الطائلة فى العناية للحصول على المخطوطات العربية ، ولكنا من الأسف لم نجد من يخلفهما فى هـذا السبيل ، لأن علماءنا — أعزهم الله — على اختلاف ألوانهم ودرجاتهم يؤثرون الوصول والنائلة من أقرب طريق .

وعجيب أى عجيب أننا لا نزال فيما يحقق من تاريخنا وآدابنا عالة على المستشرقين فيما ينقلون من آثارنا ومخطوطاتنا التى هى فى خزائنهم ، وعجيب أى عجيب أن تكون عندنا الجامعة الأزهرية العتيقة ، وجامعة فؤاد الأول ، وجامعة فاروق الأول ، ودار الكتب المصرية والمجمع اللغوى ، ثم ما شئت من هيئات ثقافية كثيرة ، حكومية وغير حكومية ، ولم تستطع هذه كلها مجتمعة أو متفرقة أن تنهض بعمل جدى فى هذه الناحية ، ولم تفكر كلها أو واحدة منها فى إرسال بعثة بشأن هذا التراث المنهوب .

إننى على يقين من أن بعث تلك المخطوطات النادرة سيصحح كثيراً من مسائلنا التاريخية والأدبية ، وإننى على يقين من أن إحياء هذا التراث الخالد سينصفنا أمام أنفسنا وأمام الأمم الأخرى ، فلعل الجامعة العربية تسدى فى ذلك ما فات غيرها ، وتنهض بما هو واجب عليها ومنوط بها ، وإملنا نلمس لها قريباً فى هذا العمل الجهد المشكور .

تأبين الأمير شكيب :

بعد ظهر يوم الجمعة الثامن من هذا الشهر أقيمت حفلة تأبين كبرى بدار الأوبرا الملكية لفقيد العروبة المغفور له الأمير شكيب أرسلان اشترك فيها لفيف من الرجالات البارزين فى الأقطار العربية وأعلام الأدب والصحافة ، وحضرها كثيرون من الوزراء والكبراء وأهل الفضل ، ولقد جاءت هذه الحفلة عنواناً للأسى الذى شمل جميع أبناء العروبة على فقد ذلك المجاهد العظيم ، كما جاءت مظهراً من مظاهر الوفاء والتقدير للرجال العاملين ، وإنا — من الوفاء للحق — لنشيد فى ذلك بصنيع الرجل العظيم سعادة محمد على علوبة باشا ، لأنه هو الذى نهض بأداء هـذا الواجب عن مصر ، وجاهد لإقامة هذا الحفل براً بذكرى رجل وهب حياته للنضال عن الشرق والإسلام .

وتعاقب الخطباء والشعراء فى تأبين الفقيد . فألقى سعادة علوبة باشا رئيس هيئة الاحتفال كلمة ضافية أشاد فيها بمواقف الفقيد فى الجهاد للحق ، والكفاح فى سبيل العروبة ، والنضال عن حقوق العرب فى الحرية والاستقلال والكرامة .

وخطب معالى ابراهيم دسوقى أباظة باشا فقال : « لقد كان الأمير شكيب أرسلان الديدبان والحارس على الأقطار العربية ، فكان المراكشى إذا هددت مراكش ، والتونسى إذا نزل الضيم بتونس ، والمصرى إذا روعت مصر بحادث ، والعراقى ، والسورى ، واللبنانى ، واليمنى إذا اعتدى على بلد من هذه البلاد أو نشبت فيها أظافر الاستعمار وبراثن الاستبداد . ولقد خلا العرين من هذا الأسد الهصور ، ولكنه خلا بعد أن نشر تعاليمه السامية فى كل مكان ، وبعد أن أعطى من نفسه القدوة الحسنة فى الوطنية والتضحية والإقدام ... »

وخطب الشيخ سامى الخورى وزير لبنان المفوض فى مصر خطبة استهلها بقول الفقيد :

فما العيش إلا أن تموت أعزة   وما الموت إلا أن نعيش ونسلما

ثم قال : لقد كانت حياة الفقيد جهاداً مستمراً فى سبيل بلاده وهو عنها بعيد ، ولقد بقى على رغم البعد هدى للأوطان العربية جميعها ؛ تستنير بشعلة ذكائه الوقاد ، وتهتدى بنور حكمته الرصينة ، ثم دهمه الموت بعد أن عاد إلى بلده خافق القلب ، إذ لقيه حراً طليقاً من كل قيد ...

وألقيت فى الحفلة كذلك عـدة كلمات لممثلى الحكومات والهيئات العربية ، وكلها تتوارد على الإشادة بمواقف الفقيد ، وتصور مدى الفجيعة الشاملة بموته ، والخسارة الكبيرة بفقده . على أنها مما يجرى عادة فى مثل هذه المناسبة ، وليست مما يؤثر للتسجيل الأدبى .

وجاء دور الشعر ؛ فألقيت قصيدة لشاعر القطرين خليل بك مطران ، وقد كنت أنتظر من مطران فى هذا الموقف شيئاً كبيراً كثيراً ، فانى أقدر وفاءه لإخوانه ، وأعرف صلته بالفقيد ، ولكن مطران اعتذر بحق اعتذاراً موجعاً أليماً إذ قال :

أبقى الرثاء له فيبرق خاطرى   حزناً، ولكن أين صوب غمام؟!
لم يبق لى شعر ولا نثر وقد   أخنى علىَّ تقادم الأعوام ...

فكان اعتذاره هذا أبلغ وأوجع من أى إفاضة فى الرثاء .

ثم ألقى الأستاذ الشاعر على محمود طه قصيدة قوية الأسر، ابتدأها بتصوير الفجيعة بموت الأمير فقال :

رزء العروبة فيك والإسلام   رزء النهى وفجيعة الأقلام
هو مأتم الأحرار فى متوثب   بصفوفهم مستبسل مقدام

ثم أخذ فى تصوير حياة الفقيد فقال :

أأبا الثائرين صوتك لم يزل   فى الشرق وحى يراعة وحسام
لخلاص دار، أو فكاك عشيرة   خضت الحياة كثيرة الآلام
واجتزت جسر العمر بين عواصف   هوج ، وموج مزبد مترامى
وشهرتها حرباً على مستعمر   متجبر ، أو غاصب ظلام
إرث الجدود الصيد أنت وهبته   قلما يصاول دونه ويحامى
وشباب مهدور الدماء مجاهد   فى الله عن عرب وعن إسلام

وهكذا مضى الشاعر إلى آخر قصيدته يصور حياة الفقيد فى شتى نواحيها بهذا الأسلوب الجزل ، وقد كان من الموافقة المتواردة أن اتفق الشاعران فى الروى والقافية ، وفى كثير من المعانى والتعابير التى قوامها حياة الفقيد .

وإنى بعد هذا لأسأل : أيكفى هذا الحفل فى الوفاء بدين الفقيد المظيم ؟ كلا ! فقد كان الأمير شكيب فى حياته وفى جهاده وفى مواهبه أضخم من هذا وأكبر ، فمن الواجب على أبناء العروبة جميعاً أن ينهضوا بعمل يخلد ذكراه ، وصنيع يحفظ آثاره ، وينشر تعاليمه ، وإنى لأعجب أن تهم الجامعة العربية فتخاطب حكومة العراق لصيانة تراث الكرملى ، ولا تؤدى هذا الصنيع لصيانة تراث الأمير شكيب ! !

وأين نحن ؟ !

يظهر أن الأمة المغلوبة على أمرها لا تدين بالحقيقة حتى تصدم رأسها ، ولا تصيخ للنصيحة حتى تخرق أذنها ، ولا تقتنع بأمر من تطورات الزمن والحياة إلا بعد فوات الأوان ، وبعد أن يكون الشوط قد بلغ نهايته .

قلت هذا لنفسى إذ قرأت أن الدول التى تحالفت على إدراك النصر قد اتفقت أخيراً على إعداد العالم لتقبل ما تهدف إليه من المبادىء والأفكار . فرأت أن خير سبيل لهذا هو إعداد مجموعة كبيرة من الأفلام الثقافية التى تصور تلك المبادىء، وتنطق بتلك الأفكار وتوزيعها للعرض فى كافة أنحاء العالم على الشباب فى المدارس والأندية وسائر المنظمات .

وقلت هذا لنفسى أيضاً إذ قرأت أن هناك مفاوضات تجرى بين بعض المشتغلين بالسينما من المصريين والشرقيين ، وبين فريق آخر من الانجليز لتكوين شركة انجليزية شرقية تقوم بعمل أفلام ناطقة باللغة العربية وتكون موضوعاتها ذات صبغة عالية ، وستقوم هذه الشركة الضخمة بتوزيع أفلامها فى شتى أنحاء الشرق العربى

فأنت ترى أنها حرب دعاية ، وأن السينما قد أصبحت أقوى أداة للتبشير بالمبادىء والأفكار ، وإذا كان الحلفاء قد استغلوا هذه الأداة لبث دعايتهم على أوسع ما يكون فى الحرب فإنهم الآن كذلك يريدون أن يعتمدوا عليها وأن يستغلوها لنشر مبادئهم فى السلم . ونحن فى مصر ، حكومة وشعباً ، نرى هذا كله ، وكأنه لا يعنينا فى شىء ، وكأننا لا نرجو من دنيا المبادىء إلا أن نربط بالذيل .

عندنا سينما ، وعندنا شركات ، وعندنا أفلام . ولكننا نملؤها بأقذر ما فى المجتمع من انحطاط الميول وضراوة الغرائز وكل ما يضمن الرواج والإقبال من العامة وأشباه العامة ، ثم نوزع هذه الأفلام فى الشرق العربى على أنها مظهر فننا وعنوان ثقافتنا ويا له من فن تافه وثقافة رخيصة .

فيا قوم حسبكم ، لقد آن لكم أن تفهموا أن العالم يجد ، وأننا لا نستطيع أن نمشى فى ذلك الموكب العالمى إلا جادين ، أليس من الهوان والبخس والتفاهة أن لا تقدم شركة من تلك الشركات السينمائية فى مصر على إخراج فلم قومى يصور ناحية مجيدة من تاريخنا ، ويحمل مظهراً صحيحاً من ثقافتنا ؟! بل أليس من التفريط والتقصير أن لا تعتمد حكومتنا على السينما — وقد أصبح لها الآن كل هذا النفوذ — فى بث ما نرجو من التثقيف والتهذيب . وما ننشده من الأصلاح والنهوض ، وأن لا نجعلها أداة دعاية فى الشرق العربى ؟!

ولكننا أمة مغلوبة على أمرها ، فنحن ننتظر دائماً حتى يصل الغرب إلى آخر الشوط ، ثم نبتدىء نفكر ماذا نعمل ؟!

الفلسفة الهندية القديمة :

يزور لندن الآن الأستاذ وديع البستاني للبحث عن أصول الفلسفة الهندية القديمة ، ويقولون إنه عثر على ستة مخطوطات نادرة ولا يزال يوالي البحث والمراجعة لإعداد دراسة مستوعبة عن الفلسفة الهندية القديمة .

والأستاذ وديع البستاني هو أحد فروع تلك الدوحة البستانية العريقة التي أسدت إلى الثقافة العربية خدمات جليلة في شتى نواحي اللغة والأدب والفلسفة ، وقد قام الأستاذ وديع منذ ربع قرن بنقل عدة كتب فلسفية طريفة إلى اللغة العربية ، وكانت لديه نزعة إلى الموضوعات الطبيعية التي يتجلى فيها صفاء الروح وجمال الكائنات ، ويظهر أن الفلسفة الهندية الفياضة بالنزعات الروحية قد استهوته فعكف على دراستها منذ سنوات ، وهو لا يزال يجد في هذه الدراسة لإخراج سفر شامل في هذه الناحية التي لا تزال معماة على أبناء العربية .

والمعروف أن الفلسفة الهندية القديمة كانت عنصراً من العناصر التي استمدت منها الثقافة العربية بالترجمة والنقل أيام العباسيين ، ففي البلاغة وفي الفلسفة وفي علوم الفلك والجبر والحساب نجد نصوصاً منقولة عن أصول هندية ، ونحن نقرأ هذه النصوص قراءة عابرة لأننا نجهل مصادرها ومراميها ، ولا نزال إلى اليوم في كل ما نعرف من معارف الهند القديمة عالة على المستشرقين ، وإنها في الواقع لإحدى العجائب ، إذ يتيسر لأجدادنا العرب بدافع نهمهم إلى المعرفة نقل المعارف الهندية والانتفاع بها والوقوف عليها ، ونحن لا نزال نجهل تلك المعارف جهلاً مطبقاً مع أن صلتنا بالهند قد توثقت ، ومعارفنا قد اتسعت وسبل الانتقال والبحث قد تيسرت .

إن الأستاذ وديع البستاني بعمله هذا يؤدي خدمة جليلة للعربية ، وإنها لفاتحة خير بدأها الأستاذ عبده حسن الزيات بكتابه الذي أخرجه حديثاً وموضوعه « حكايات من الهند » ، وإنا لنرجو أن يرود أبناء العروبة هذه الناحية على أوسع ما يكون ، فإن الثقافة الشرقية قوامها روح واحدة ، ووجهتها غاية واحدة ، وقد أصبح من الخطأ استقلال أمة بمعارفها ، فكيف والهند ليست غريبة عنا . .

كتاب من غير أقلام :

تناولت عدداً حمله البريد أخيراً من مجلة سورية خصصت صفحاتها للأدب والمباحث الثقافية ، وفي عنوانها أنها « صورة الفكر المعاصر » ، فوقعت في صفحاته الأولى على مقال بعنوان « الأديب من أين يبدأ » ، فتغاضيت عما في العنوان من خطأ شائع درج عليه كثير من الأدباء المعاصرين ، إذ يؤخرون اسم الاستفهام وإن كانت اللغة تقضي له بالصدارة ، وأخذت أقرأ ما تحت العنوان فقرأت في السطر الأول « إني بالأدب شنوف » وفي السطر الثاني « وكيف عرفت أن ميولك منصرفة إلى هذه النصرف » وهكذا أخذت أنتقل من سطر إلى سطر ، وأنا أنتقل من خطأ إلى خطأ حتى ضاقت نفسي وألقيت بالمجلة من يدي ولم أستطع أن أستوعب من المقال أكثر من خمسة أسطر !!

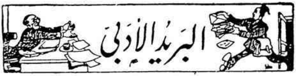
إن الفكرة السليمة قوامها الأسلوب السليم ، وإن الكاتب الذي لا يستطيع أن يصحح ما يكتب لا يستطيع كذلك أن يصحح ما يقرأ ، ومعنى ذلك أنه يقرأ على غير فهم ووعي .

ولكني أعرف كثيراً من ناشئة هذا العصر ، وكتاب هذه الأيام قاصرين عن تصحيح لغتهم وتقويم أسلوبهم ، وإني لأعرف كتاباً بيننا يملؤون الدنيا بأسمائهم ويتصدون للنقد والمناقشة وهم حين يجلسون لإراقة المداد على الورق لا يعرفون مصادر الكلام من موارده ، فيتركون هذا لأناس يستخدمون أشخاصاً على أجر معلوم لهذا الغرض ، وعندهم أن هذا ليس بعاب ، بل إنهم ليحسبون التمسك باللغة عنجهية وتقعراً لا يليق بمفكري هذه الأيام

وأنا والله لست أدري ما ذا يكون ذلك الكاتب إذا فقد أول شرط للكتابة ، وأي شيء يبلغ من الأدب إذا لم تكن لديه أداة الأدب ، وهل يجدي هؤلاء شيئاً ما يتشدقون به من أنهم يحذقون لغة أو لغتين أجنبيتين على حين يجهلون اللغة التي يكتبون بها وينتسبون إليها ؟!

ولكنها بدعة أعجمية ، خلقها العجز وبررها القصور عند هؤلاء ، وإنهم لكتاب من غير أقلام ، وإن حسبوا أنفسهم من الأعلام .

« الجاحظ »



فن وتجارة :

اطلعت فى عدد « الرسالة » رقم ٧٠٩ فى باب « الأدب والفن فى أسبوع » على كلمة تحت عنوان : « فن وتجارة »..

ولقد اعترتنى الدهشة البالغة من تعليق حضرة كاتبها على احتجاجى بصفتى نقيبا الممثلين على عملية « الدوبلاج » للأفلام الأمريكية .

ولقد تضاعف استغرابى من كونه بدلا من أن يشد أزرنا فى قضيتنا الوطنية راح يسخر من منطق ويستنكر طلبى .

ولولا أن مجلة «الرسالة» هى المجلة التى لا يكتب فيها إلا القيم من القول والمتزن من النقد لما راعنى الأمر .

ألا فليعلم حضرة الكاتب أننى لم أقدم احتجاجى على أفلام الدوبلاج الأمريكية بصفتى منتجاً ؛ فأنا لا أحترف الإنتاج منذ عشرين عاماً ، بل فعلت هذا كنقيب للممثلين ، بناء على قرار النقابة وأعضائها ، واستجابة لاحتجاج نقابة السينمائيين واتحاد المنتجين ، فسخريته إذن موجهة إلى كل فنان وإلى كل سينمائى وكل مصرى ؛ أى أن حضرة الكاتب اللبق قد ساءه أن يناصر قضية الفنان المصرى ، فتطوع من تلقاء نفسه للدفاع عن تجار وأصحاب شركات الفيلم الأمريكى .

فهو إذن لا يهمه الدفاع عن كيان الشركات المصرية . بل على النقيض يريد أن يفسح المجال للاستغلال الأجنبى .

فليسمح لى أن أرد له التحية فأقول له : أى منطق منطقك ياحضرة الكاتب ؟ وكيف تقارن بين السماح للمجلات الأمريكية بدخول مصر وعدم السماح لأفلام الدوبلاج مع أنك تعلم أننا لا نود منع دخول الأفلام الأمريكية بلغاتها الأصلية ، وأنت كصحفى قد تطالب غداً بمنع دخول المجلات الأمريكية إذا أرسلتها باللغة العربية ! !

ونحن لا نطالب الحكومة بجديد عندما نستصرخها للذود عن أموال الشركات المصرية والفيلم المصرى بصفته إنتاجا وطنيا وهى التى سنت قانوناً لحماية البضاعة الوطنية كالأقمشة والحرير وما شابهها .

ثم لدى نصيحة للكاتب وهى أن يرسل مقاله هذا إلى الشركات الأمريكية مترجماً وأنا واثق أنها ستجزل له المكافأة كمناصر للاستعمار الأجنبى ! !

والطريف فى الأمر أننا قرأنا للأستاذ الأديب أحمد حسن الزيات صاحب مجلة « الرسالة » افتتاحية رائعة فى العدد نفسه ، يستنكر فيها الاستعمار فى الشرق ، بينما نقرأ لحضرة الكاتب هذه الكلمة التى يناصر فيها الاستعمار ويندد بطلب السينمائيين المصريين بحماية شركاتهم الصغيرة من طغيان الفيلم الأجنبى واستعمار الأجانب لبلادنا فنياً

يوسف وهبى

« الجاحظ » : وفر على نفسك النصيحة يا نقيب الممثلين ، فليس صاحب هذا القلم ممن تعرفهم . أما الرد فانتظره فى العدد القادم .

موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم :

من الظواهر الفكرية التى تستحق التسجيل والتخليد فى مجلة أدبية عربية سائرة كالرسالة الزهراء ذلك العمل الإسلامى الفكرى الجليل الذى يحدث لأول مرة فى تاريخ مصر العربية . أوفى عصرها الحاضر بمعنى أدق ، ألا وهو تنظيم محاضرات تلقى كل أسبوع فى تفسير آيات الذكر الحكيم ، وتوضيح أغراض القرآن الكريم ، ولقد اضطلع بعبء هذا المشروع النافع المفيد رجل كريم من رجالات مصر ، ومحسن مفضال يعد فى الصفوة من أبنائها العاملين لرفعة شأنها ، وتجديد شبابها ، وبعث دينها ، وإحياء أخلاقها ومبادئها ، وهو حضرة صاحب العزة المحسن الكبير والمصلح الإسلامى الموفق الحاج يعقوب بك عبد الوهاب الذى عرفته ميادين كثيرة من ميادين الخير والبر والإحسان والإيمان ، فكان الساعد الأيمن والعامل الأول فى إنشاء معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية والشرقية ، وأمد جمعيات المحافظة على القرآن الكريم بمعونته وعنايته ، إذ خصص مكافآت مالية

سخية توزع على المهرة فى حفظ القرآن من طلبة المعاهد وتلاميذ المدارس ، وتوزع فى احتفال رائع يقام فى كل عام تحت رعاية الملك الناصر لدين الله الفاروق المفدى أعزه الله بالإسلام ، وأعز به الإسلام ، ولهذا الرجل الكريم نواح كثيرة يصلح فيها سراً وجهراً ، وليس هذا مجال تعدادها أو ترديدها …

ثم رأى الحاج يعقوب بك عبد الوهاب أخيراً أن القرآن بما اشتمل عليه من معان سامية ومقاصد جليلة تتصل بجميع الاتجاهات الفقهية والتشريعية والعلمية والصحية والأدبية والاجتماعية يتطلب أساتذة مهرة ، وفحولا فى البلاغة والأدب ، وأدباء خبراء بطرق العرض وأساليب التوضيح ، ويتشرف هؤلاء بتناول آيات القرآن الكريم ليوضحوا لجمهور المستمعين ما انطوت عليه من إعجاز وإيجاز ، وفصاحة وبلاغة ، وتقنين وتشريع ، فاختار لذلك أربعة من الفحول هم الأساتذة الأجلاء الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور عبد الوهاب حمودة ، ونظم جهودهم وعلى أكتافهم موسماً للمحاضرات سماه « موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم » وجعله يبدأ من نوفبر وينتهى فى مارس ، ولقد اختار لإلقاء هذه المحاضرات قاعة رحيبة فسيحة هى قاعة « دار الحكمة » بشارع قصر العينى ؛ فكان هذا فتحاً جديداً ، فتح به الحاج يعقوب بك هذه القاعة لما كانت بعيدة عنه بطبيعة اختصاصها من البحث فى الدين وتفسير القرآن الكريم ؛ ولقد أقبل العلماء والأدباء على هذه المحاضرات إقبالا منقطع النظير ، حتى ضاقت بهم ردهات الدار ، وأحسن المحاضرون مبنى ومعنى ، وتفكيراً وعرضاً ؛ ويلوح لى أن النية الخالصة ونبل الغرض كانا السبب فى كل هذا التوفيق ، مما يدعو إلى أن نسأل الله مخلصين راجين أن يوفق رجالات مصر وأغنياءها إلى يتخذوا من هذا الرجل المصلح قدوة ومثلا ؛ والله يهدى العاملين

أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد الزقازيق الثانوى

حول الشاعر الطموح :

« والشاعر الطموح » كتاب أصدرته أخيراً « سلسلة اقرأ » لعلى الجارم بك .

وهو تصوير لحياة المتنبي فى بلاط سيف الدولة وكافور فى حلب ومصر وما أحاطه به من دسائس ومنافسات ووشايات وحب وبغض وتقدير وحسد ، وذلك فى الفترة التى ما بين عامى (٣٤١ — ٣٥٠ هـ) .

والكتاب أثر أدبى رائع بيد أن لى عليه بعض اللاحظات :

١ — يذكر المؤلف قصيدة المتنبي .

وا حرّ قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(ص ٤٦ وما بعدها) ويجعلها من القصائد التى نظمها المتنبي عام ٣٤١ هـ (راجع ص ٥ وص ٥٦)

والحق إن هذه القصيدة من أخريات القصائد التى نظمها أبو الطيب فى سيف الدولة الحمدانى قبل رحيله عن بلاطه عام ٣٤٦ هـ وتؤكد ذلك القصيدة نفسها وما فيها من إشارات إلى توتر العلاقات وانقطاعها بينه وبين سيف الدولة ، وهذه الحالة والمؤامرات التى كانت السبب فيها مما لم تنشأ فى بلاط سيف الدولة فى ذلك التاريخ الذى ذكره المؤلف .

٢ — ويجعل المؤلف قصيدة المتنبي :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب الأمانى أن يكنّ أمانيا

أول قصيدة أنشأها المتنبي فى كافور وأنشده إياها .

والحق إن أول قصيدة أنشدها أبو الطيب أمام كافور هى :

فراق ومن فارقت غير مذمم
وأمّ ومن يممت خير ميمّم

وذلك ما يتضح للناقد من دراسته لهذه القصيدة .

محمد عبد المنعم خفاجى

الكتب

أعلام المحـــاماة

فى كتاب الأستاذ عبد الحليم الجندى

بقلم صاحب العزة الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك

« جرائم واغتيالات القرن العشرين » كتاب نفيس وضعه الأستاذ عبد الحليم الجندى فى جزءين أخرجهما للناس فى الشهر الماضى . وأبرز ما فى الكتاب تصويره حياة ثلاثة من أعلام المحاماة . اختارهم المؤلف ضمن عظماء المحامين الذين تألق نجمهم فى سماء المحاماة بمرافعاتهم فى القضايا الكبرى فى القرن العشرين وهم : الهلباوى فى مصر ، ومارشال هول فى انجلترا ، وهنرى روبير فى فرنسا . قرأت الكتاب قراءة تأمل وإمعان ، فألفيته جديراً بأن يقرأه كل مواطن ، وكل محام ، وكل شاب يعتنق مبدأ الحرية الفردية والسياسية .

المؤلف أستاذ أديب . ومحام نابه . كان محامياً عن الأفراد وقتاً ما ، وهو الآن محام عن الحكومة فى مجلس الدولة . لازمته روح المحاماة ، وكتب عنها بقلم المؤمن بها ، المحب لها ، فجاء كتابه قصة رائعة للمحاماة فى أشخاص ثلاثة من أعلامها . مجد المحاماة تمجيداً صادراً عن عقيدة وخبرة إذ وصفها بأنها مهمة قبل أن تكون مهنة ، وجعلها دعامة الحرية وسندها فى ساحات القضاء. ولعمرى إن هذا الوصف لهو أكبر مفخرة للمحاماة . وإن المحامى ليعتز بمهنته إذ يراها سبيل الدفاع عن الحرية وعن الحق . وفى ذلك يقول المؤلف : « سنرى فى الصفحات التالية بطولة المحاماة وهى تخوض الغمرات فى هذا السبيل . إنما هى الحرية غاية جيلنا من حياته . لا وسيلة لأغراضه ولا طب لأمراضه إلا بتدعيمها ، وتعميمها والفسح من مداها ، وما حرية الأمة إلا فيض من حريات بنيها واستقرار العدالة فيها . فإلى دعاة الحرية والعدالة هذه الصورة المصغرة لثلاثة من كبار المدافعين عن الحرية فى ساحات العدالة » .

وفى الحق إن الحرية هى ركن أساسى من أركان المجتمع الإنسانى الجدير بهذا الإسم . وإذا تقلص ظلها فى بلد من البلدان نزلت الأمة إلى درك عميق من الذل والهوان . والحرية قد تحميها النظم والقوانين ، وقد يكفلها الدستور ، وتحميها الصحافة . ولكن خط الدفاع الأول والأخير لها هو القضاء والمحاماة . فالقضاء هو فيصل التفرقة بين الحق والباطل، بين الحرية والاستعباد . هو ملاذ المظلوم ممن يتحيفهم طغيان الأقوياء والحكام . والمحاماة هى لسان الحرية والحق المدوى فى ساحات القضاء ، والمناضل الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ؛ فالقضاء والمحاماة صنوان متلازمان . يتعاونان على أداء مهمة قدسية سامية وهى استخلاص الحق وكفالة الحرية .

عرض لنا المؤلف فى الجزء الأول من كتابه صورة حية من الهلباوى المحامى ، والهلباوى الرجل ، والهلباوى الخطيب . فحلل شخصيته أدق تحليل ، وتابعه منذ نشأته إلى أن انتظم فى سلك المحاماة إلى أن ظهرت مواهبه فيها وذاعت شهرته فى أرجاء البلاد بمرافعاته فى القضايا الهامة ، وعدد أشهر القضايا التى ترافع فيها فى مختلف العهود . وأبرز فضائله فى المحاماة ونزاهته فيها إلى جانب عبقريته كمحام قدير ، وأبان للقارئ كيف كان يحضر قضاياه ، وكيف كان يهاجم ويدافع ، وكيف كان يسترعى الانتظار فى مرافعاته، وكيف كان يستهدف لغضب ذوى السلطان فى أداء واجبه وعنى على الأخص بالقضايا الوطنية التى ترافع فيها عن الحرية وحملاته الصادقة على خصومها ومضطهديها . وأفاض المؤلف فى هذا الجانب من حياة الهلباوى ، ولا غرو فهو الجانب الذى يضفى عليه هالة من المجد وخلود الذكر .

وأعجبنى من المؤلف الأديب أنه استثنى من الإشادة بمواقفه مرافعته كمدع عام فى قضية « دنشواى » فلم يدافع عن بطله فيها واقتصر على التماس « الظروف المخففة » له حتى عزا موقفه فيها إلى سوء الحظ . وفى الحق إن قبوله المرافعة عن الاتهام فى هذه القضية كان سقطة كبيرة من المحامى الكبير ؛ لم تنسها له الأمة طول حياته ولا يلومها منصف على ذلك بل هو دليل على تقدم الوعى الوطنى فيها . لأن التساهل بإزاء أمثال هذه السقطات يغرى بتكرارها .

صور لنا المؤلف حياة الهلباوى فى كل نواحيها ، صورها بلغة مختارة ممتازة ، وفى الحق إن لأسلوبه وتعبيراته طابعاً أدبياً بليغاً ، وفيه أناقة وفيه جاذبية ، وفيه عمق فى المعانى والأفكار



لويـــز ...

للكاتب الانجليزي سومرست موم
ترجمة الأديب السيد مصطفى غازى

عرفت لويز قبل أن تتزوج . كانت وقتئذ فتاة ضعيفة رقيقة ذات عينين وسيمتين حزينتين ، كان أبواها يحبانها ويرعيانها في قلق وترقب ، إذ قد اتفق على ما أذكر أن أصابتها الحمى القرمزية وخلفتها ضعيفة القلب وفي حاجة إلى أن تعنى بنفسها عناية كبيرة ، فلما تقدم توم متيلاند ليخطبها إلى نفسه فزع أبواها إذ كانا يعتقدان أن صحتها الرقيقة لم تكن لتحتمل متاعب الزواج ، ولكنهما لم يكونا موسرين وكان توم ميتلاند غنياً ، ووعد بأن يبذل كل ما في وسعه في سبيل سعادة لويز فقبل الأبوان تزويجها منه وقدماها إليه هدية مقدسة .

كان توم ميتلاند شاباً متين البناء ، رياضياً ، جميل المنظر جذابه ، ولقد وضع كل اهتمامه في لويز إذ لم يكن يأمل أن تحيا إلى جانبه بقلبها الضعيف طويلا ، وعاهد نفسه على أن يقوم عنها بكل شيء ليجعل سنواتها القليلة على الأرض مليئة بالسعادة والهناء . وترك الرياضة التي كان بارعاً فيها لا لأنها كانت تريد منه ذلك فقد كان يسرها أن يلعب (الجولف) ويصطاد ، بل لأنه كان يصادف أن تصاب بنوبة قلبية كلما عرض عليها أن يتركها لمدة يوم واحد . وإذا حدث أن اختلفا في رأى ما كانت تستسلم له تواً فقد كانت أسلس الزوجات قياداً ، ولكن العلة تعاود قلبها فتحمل إلى فراشها وتبقى فيه أسبوعاً وادعة راضية ، ويحس بأنه كان عليه ألا يكون قاسياً فيعارضها ، فيتنازل لها عن رأيه وفي جهد يحاول إقناعها بأن تفعل ما ترتئيه .

حدث ذات مرة بعد أن رأيتها تمشي ثمانية أميال في رحلة قامت بها أن قلت لتوم ميتلاند ملاحظاً : إنها أقوى مما كان يتصوره المرء ، فهز رأسه وتنهد قائلا : « كلا . كلا . إنها رقيقة جداً . لقد ذهبت إلى جميع الأطباء الأخصائيين البرزين في أمراض القلب فاتفقوا جميعاً على أن حياتها معلقة في خيط ، ولكن لها روحاً لا تقهر » وأخبرها بما قلت عن تحملها فقالت لي مؤنبة : سأدفع ثمن ذلك وسأكون على باب الموت . فتمتمتُ قائلا : يخيل إليَّ أحياناً أنك قوية جداً على ما تريدين فعله » . فقد لاحظت أنه إذا حدث وراقتها بعض الحفلات تأخذ في الرقص حتى الساعة الخامسة صباحاً فإذا كانت الحفلة مملة تشعر بتوعك شديد فيضطر

وبهذا الأسلوب انتقل بنا من الشرق إلى الغرب . فصور لنا حياة « مارشال هول » الذي سطع نجمه في سماء المحاماة في انجلترا ، وزميله « هنرى روبير » في فرنسا . ذلك النقيب المعظم الذي قال عنه « دي مورو جيافرى » إن المحاماة في فرنسا فقدت بوفاته أكبر رجل رفع شأنها منذ عهد « بربيه » وهي كما يقول المؤلف أبلغ مقالة عن مكانته في التاريخ ، فلعل « بربيه » أكبر رجال المحاماة في التاريخ الفرنسي ، كما كان أعجوبة البلاغة والشجاعة في مجلس النواب ومجلس الأعيان .

إن لدراسة الشخصيات الكبيرة وتحليلها بالطريقة والأسلوب اللذين نهجهما الأستاذ عبد الحليم الجندى قيمة عظيمة في توسيع الأفق الثقافي والذهني ، ففي خلال هذه الدراسات يطالع القارئ وصفاً دقيقاً لحياة المجتمع وتطوره ، وعادات الناس وأخلاقهم وعلاقات بعضهم ببعض . كما يلمح بشيء من التأمل والمقارنة مبلغ الفرق بين الحياة في عصرنا والحياة في العصر الذي سبقه .

وفي الكتاب ميزة أخرى وهي أنه يطالع المحامي بما هيأ لأعلام المحاماة في الشرق والغرب ما وصلوا إليه من مكانة رفيعة ومنزلة سامية ، وما هي العناصر التي عبدت لهم طريق الشهرة والمجد . فهو كتاب المحاماة وكتاب المحامين . فيه يجد المحامي كبيراً كان أو مبتدئاً ما يرسم له سبيل النجاح والتوفيق . فلعل في كل محام مواهب لو عرف كيف يتعهدها ويستخدمها على ضوء حياة العظماء من المحامين لأدرك من المكانة والمنزلة ما لا يدركه إذا أغفل هذا الجانب من البحث والدراسة . وإني لأنصح كل محام وكل من يعد نفسه ليكون محامياً أن يقرأ كتاب « الأستاذ عبد الحليم الجندى » ففيه صورة واضحة قوية للمحاماة الرفيعة الناجحة .

عبد الرحمن الرافعي

توم إلى أن يعود بها إلى المنزل مبكراً . ويظهر أنها لم ترتح لجوابى وبالرغم من أنها نظرت إلىَّ بابتسامة وادعة فإننى لم أر لهذه البسمة أثراً فى عينيها الوسيمتين الزرقاوين ، وقالت : لعلك تتوقع منى أن أسقط ميتة لا لشىء إلا لأدخل السرور على نفسك » .

ولكن لوبز لم تمت ومات زوجها وهى حية بعد . لقد لقى حتفه عقب برد أصابه فى إحدى رحلاتهما البحرية . وكانت رقة لوبز قد دفعت به إلى أن يختصها بجميع الأغطية لتتدفأ بها . مات وقد ترك لها ثروة طيبة وابنة ، فلم تستطع لوبز أن تتعزى ، ولقد كان عجيباً حقاً أن تتحمل الصدمة ، ولقد توقع أصدقاؤها أنها ستلحق بتوم المسكين عاجلا فى القبر . وأحسوا جميعاً بالأسف الشديد على ابنتها إيريس وقد تيتمت فضاعفوا عنايتهم بلوبز . كانوا لا يدعونها تحرك أصبعاً . كانوا يلحون فى توفير أسباب الراحة لها لأنهم لو خلوا بينها وبين أى عمل مرهق أو غير ملائم لرقتها فإن قلبها لايلبث أن تعتاده العلة ويقف بها على باب الموت .

قالت إن خلو حياتها من رجل يعنى بها يبليها ويرمضها ، وإنها لا تعرف كيف تربى عزيزتها إيريس بصحتها هذه الرقيقة فسألها أصدقاؤها لماذا لا تتزوج . أوه إن هذا ما يأباه قلبها وإن كان العزيز توم لم يكن ليأباه بل لعلها إن تزوجت أن يكون ذلك أصلح شىء لإيريس . ولكن من يعنى نفسه بزواج امرأة عليلة مثلها ؟ ومن العجيب حقاً أن يتقدم لها أكثر من شاب كلهم مستعد أن يتكفل بها .

وبعد عام من موت توم قبلت أن تتزوج من جورج هوبهاوس وكان شاباً جميلا فارع القوام وعلى جانب من الثراء . ولم أر أحداً أسعد منه لفوزه بشرف القيام على رعاية هذا المخلوق الرقيق الدقيق.

قالت : لن أحيا طويلا لأزعجك . كان جندياً طموحاً فاستقال من منصبه إذ كانت صحة لوبز تحتم عليها أن تقضى الشتاء فى مونت كارلو والصيف فى دوفيل . ولقد تردد قليلا وهو يضحى بمستقبله ورفضت لوبز أن تستمع إليه بادىء ذى بدء ، ولكنها لم تلبث أن امتثلت كما هى حالها دائماً فهيأ لأن يجعل سنواتها الأخيرة سعيدة هانئة إلى أقصى حد .

قالت : إن هذا لن يستمر طويلا . سأحاول أن لا أكون مزعجة

وفى خلال العامين أو الأعوام الثلاثة التى أعقبت زواجها الثانى استطاعت لوبز بالرغم من قلبها الضعيف أن تذهب فى أجمل الثياب إلى أشوق الحفلات وتقامر فى إسراف وترقص بل وتنازل الشبان الفارعى القوام . ولم يكن جورج هوبهاوس من عنصر زوجها الأول فكان يستعين بالمشروبات الحادة من وقت لآخر وهو يقوم على خدمتها . وكان من المحتمل أن يصبح عنده الشراب عادة فتضيق لوبز بذلك أشد الضيق ، ولكن لحسن حظها «هى» قامت الحرب فالتحق بفرقته وبعد ثلاثة شهور قتل فى الميدان .

وكانت صدمة عنيفة على لوبز ، وشعرت مع ذلك بأنه يجب عليها فى حالة دقيقة كهذه أن لا تسلم نفسها للحزن البالغ ، وإذا كانت قد أصيبت بصدمة قلبية فإن أحداً لم يسمع بها ، ولكى تتلهى عن أحزانها حولت فيلتها بمونت كارلو إلى مستشفى للضباط الناقهين . وقال لها أصدقاؤها إنها لن تتحمل وطأة هذا العناء .

فقالت : ليس عندى من شك فى أن هذا سيقتلنى ، أنا أعرف ذلك ولكن ما حيلتى ؟ يجب أن أصنع شيئاً ... ولكن العمل لم يقتلها وبقى فى حياتها فسحة .

قابلتها مصادفة فى باريس وكانت تتغدى فى الريتز مع شاب فرنسى جميل المنظر ممشوق القوام ، وفسرت سبب مجيئها فقالت إنها إنما جاءت إلى باريس لتقوم ببعض أعمال تتعلق بالمستشفى وأخبرتنى أن الضباط ظراف جداً وأنهم لا يدعونها تعمل شيئاً ما مراعين فى ذلك رقة صحتها . لقد كانوا يمنون بها كما لو كانوا جميعاً أزواجها . وتنهدت « مسكين جورج . من ذا الذى كان يظن أننى سأعيش بقلبى الضعيف بعده ؟ »

فقلت : ومسكين توم ! ولست أدرى لم كرهت منى أن أقول ذلك فقد أرسلت إلى بسمتها الوادعة وقالت وقد اغرورقت عيناها الجميلتان بالدموع : إنك تتكلم دائماً كما لو كنت تنفس على هذه السنوات القليلة التى يمكن أن أحياها » .

— بالمناسبة . أوليس قلبك الآن فى حالة أحسن ؟

— لن أتحسن مطلقاً . لقد عرضت نفسى هذا الصباح على إخصائى فقال إنه يجب على أن أستعد لما هو أسوأ .

— حسناً . إنك تستعدين لذلك منذ عشرين عاماً . أوليس كذلك؟

ولما وضعت الحرب أوزارها أقامت لوبز فى لندن وكانت وقتئذ فى الأربعين من عمرها نحيفة ضعيفة بعينيها الوسيمتين وخديها الشاحبين . ومع ذلك فلم تكن تبدو إلا وكأنها فى الخامسة والعشرين من عمرها . وكانت إيريس قد شبت وأتمت دراستها فجاءت لتعيش معها . قالت لوبز : ستعنى بى . حقاً إن من الصعب عليها أن تعيش مع امرأة عليلة مثلى ولكن ذلك لن يدوم طويلا أنا موقنة برضائها .

وكانت إيريس فتاة جميلة ، ولقد نشئت وهى تعرف أن صحة أمها

منحرفة فلم يسمح لها في طفولتها أن تحدث ضجة في البيت ، وكانت تدرك دائماً ما يجب عليها من مراعاة راحة أمها . وبالرغم من أن لويز قالت لها الآن إنها لن تسمح لها بأن تضحي نفسها من أجل امرأة عجوز مزعجة لم تستمع الفتاة لقولها فهي لم تكن تستشعر في عملها أنها تضحي بنفسها وإنما كانت تحس بالسعادة وهي تقوم بخدمة أمها العزيزة المسكينة . وتنهدت الأم وخلتها تقوم بجميع شئونها . قالت لويز : إن الطفلة مسرورة بأن تجعل من نفسها شيئاً ذا نفع . فقلت لها : ألا ترين أنه يجب عليها أن تخرج للرياضة من وقت لآخر . فقالت : هذا ما أقوله لها دائماً ، أنا لا أستطيع أن أقنعها بأن تسري عن نفسها . يعلم الله أنني ما أردت قط أن أعنّي مخلوقاً بخدمتي .

ولما راجعتُ أيريس في ذلك أجابتني قائلة : مسكينة أمي العزيزة إنها تريدني على أن أخرج فأجالس الأصدقاء وأحضر الحفلات ولكنني أفضل أن أبقى في البيت فإنها في اللحظة التي أتهيأ فيها للخروج تعتريها نوبة من نوباتها القلبية .

لم تلبث إيريس أن وقعت في حب أحد أصدقائي . وكان شاباً طيباً حلو الشمائل تحبه نفسي ، ولقد رضيت به إيريس حين تقدم لخطبتها ففرحت بأن الفرصة في أن تحيا حياة مستقلة قد هيئت لها . واعترض أيريس الشك في إمكان الزواج ولم يلبث الشاب أن حضر إلى ذات يوم وهو في أشد حالات الحزن وأخبرني بأن الزواج قد تأجل إلى أجل غير مسمى .

لقد أحست إيريس بأنها لا تستطيع أن تترك أمها . وطبعي أن المسألة لم تكن تخصني بالذات ولم يكن لي فيها دخل ولكنني اهتبلت الفرصة وذهبت لأقابل لويز . لقد كان يسرها دائماً أن تستقبل أصدقاءها وقت تناول الشاي ، أما وقد تقدمت بها السن الآن فقد أحاطت نفسها بمجموعة من الرسامين والأدباء .

فقلت لها بعد قليل : حسناً . لقد سمعت أن إيريس لن تتزوج

— أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك . كان يحق لها أن ترفض الزواج لو كنت أنا التي رغبت في ذلك ولكنني توسلت إليها وأنا جاثية على ركبتي أن لا تفكر في . لكنها رفضت أن تتركني

— ألا ترين أن في ذلك قسوة عليها ؟

— من غير شك . ولكن هذا لن يدوم أكثر من أشهر قليلة ثم إني أكره أن يفكر أحد في أن يضحي بنفسه من أجلي.

— يا عزيزتي لويز لقد دفنت زوجين ولا أرى أي مانع يقف بينك وبين التفكير في دفن اثنين آخرين .

فقالت وقد ضاقت بكلامي أشد الضيق : أو تجد في الهزء بي متعة لك ؟

— يبدو لي انك تقوين دائماً على ما تريدين فعله وأن قلبك الضعيف إنما يمنعك من عمل الأشياء التي تضايقك .

— أوه . أنا أعرف . أنا أعرف ما تعتقده فيّ دائماً . إنك لم تصدق قط أني كنت مريضة في يوم من الأيام أوليس كذلك ؟

فقلت لها وأنا أحدق في عينيها : بلى إن ما أعتقده هو أنك قد خدعت من حولك هذا الخداع الهائل مدة خمس وعشرين سنة وأنك أعظم امرأة قابلتها أنانية وبشاعة . لقد حطمت حياة هذين الزوجين التعسين والآن تريدين أن تحطمي حياة ابنتك .

لم يكن ليأخذني العجب لو أن لويز قد أصيبت في هذه اللحظة بنوبة قلبية وكنت متوقعاً كل التوقع أن تثور علي ثائرتها ولكنها اكتفت بأن ابتسمت في وجهي ابتسامة رقيقة وقالت : يا صديقي المسكين . في يوم ما ستندم أشد الندم على ما قلته لي الآن .

— أوصممت على أن تمنع إيريس عن الزواج بهذا الشاب ؟

— لقد توسلت إليها أن تتزوجه. أنا أعرف أن ذلك سيقتلني.

ولكن هذا لن يهم فما من أحد يأبه لشأني وإنما أنا حمل على كل إنسان

— أوقلت لها إن هذا سيقتلك ؟

— لقد اضطرتني هي إلى ذلك .

— كما لو قد طلب منك أي مخلوق أن تعملي شيئاً لم تكوني تفكرين في عمله .

— يمكنها أن تتزوج من حبيبها غداً لو شاءت . وإذا كان ذلك يقتلني فليكن .

— حسناً . فلنجازف .

— أولا تشفق علي .

— ما من مخلوق يستطيع أن يشفق على من يسليه تسليتك لي

فغامت وجنتاها الشاحبتان وظهر الغضب في عينيها رغم أنها كانت لا تزال تبتسم . قالت : ستتزوج إيريس في ظرف شهر وإذا حدث لي شيء فأرجو منكما أن تطلبان لنفسيكما الصفح والغفران . وسارت الأحوال على أحسن ما يكون . وحدد اليوم وأعدت ثياب العرس الرائعة ووزعت الدعوات . وكانت إيريس وفتاها الطيب مشرقين . وفي يوم الزفاف في الساعة العاشرة صباحاً أصيبت لويز هذه المرأة الشيطانة بنوبة من نوبات قلبها ولفظت أنفاسها ... ماتت في وداعة وقد صفحت عن إيريس التي كانت سبباً في قتلها .

السيد مصطفى غازي